المقتبس

كتب اللغة الانتقادية

اختلط العرب بالاجانب بعد الفتح فأثر التياثهم بهؤلاء فيهم آثاراً اسبقها التأثير في لغتهم لان اللغة وهي آلة الترجمة والتفاهم اقرب الى الانفعال من الاخلاق والعادات بل هي المدخل الى انفعال الآداب ولنا من اهتمام الامم الحية بنشر لغاتها دليل بات على ذلك ولا اريدهنا شياع الالفاظ الدخيلة[1] وتسربها الى العربية فان ذلك انما ظهر بعد تبسط الامة في العمران ولكن أريد بذلك اللحن الذي حدث بعد الفتح او في أخريات العرب عرب في ازيائهم واوضاعهم وشطارتهم في المعيشة فقد بدأوا يلحنون في التراكيب ثم في المفردات وانتهى ذلك بوضع علمين علم يحفظ التراكيب عن الخطإ وهو النحو وآخر يحفظ المفردات الصحيحة وهو علم اللغة وابتدأ العلماء قبل عهد التدوين ينتقدون اللحن في محاوراتهم ثم دونت اللغة ودون في اثنائها فن يصح ان يسمى (اللغة الانتقادية) وهو فرع يمتى خاص من علم اللغة تنتقد فيه المفردات المستعملة غلطاً في كلام الخاصة والعامة فيذكر فيه المصحف والمحرف والمقلوب والمستعمل في غير موضعه والمتغير وضع حركاته وسكناته وقد ألف في هذا الفن جماعة من اقدمهم ابو عبيدة

---

(١) شاع في العصر العباسي استعمال المعرب والمولد شيوع الاجنبي في هذه الايام وهذا هو القصد من نسبته لذلك العصر عصر تبسط الامة في العمران لا انه حدث فيه ابتداء فان كثيراً من الدخيل يرجع الى عهد احتكاك العرب بقدماء المصريين وبالفرس والهنود وغيرهم من الامم التي احتك العرب بها في الجاهلية فاقتبسوا منها مفردات غير يسيرة

معمر بن المثنى اللغوي البصري المتوفى سنة ٢١١ وقيل قبل ذلك الف كتاب (ما تلحن فيه العامة) ولعله اول من كتب في هذا الشأن فاني لم أجد غيره ممن طرق هذا الباب الا اتى منه وللامام ابي بكر المازني المتوفى سنة ٢٤٨ كتاب بهذا الاسم ولابي حاتم سهل بن محمد السجستاني العالم الشهير المتوفى سنة ٢٥٠ وقيل قبل ذلك بقليل كتاب (لحن العامة) وبهذا الاسم كتاب لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٩٠ والف المفضل بن سلمة الفاضل الكوفي صاحب الاستدراك على العين وكان معاصراً للفراء ومنقطعاً للفتح بن خاقان كتاب (الفاخر) في لحن العامة و بهذا الاسم ايضاً كتاب في لحن العامة لابن البلخي وكان مستوفياً في بلخ على عهد السلطان محمد السلجوقي والف محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ كتاب (ما يلحن فيه عوام الاندلس) ولابي هلال العسكري صاحب كتاب (الصناعتين) المتوفى سنة ٣٩٥ كتاب (لحن الخاصة) والف ابن بابي محمد بن علي السيبي المتوفى سنة ٧٣٣ كتاباً في لحن العامة وفيه كتاب لابن هشام محمد بن احمد اللخمي المتوفى قبل السبعمائة

وقد انتقد جماعة من اللغويين كتب آخرين منهم فمن الكتب المنتقدة وهي في موضوع انتقادي كتاب (درة الغواص في اوهام الخواص) وهو الكتاب المعروف لابي القاسم محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات المتوفى سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة ٥١٦ وقد اعتنى به الادباء فحشاه وشرحه واختصره وزاد عليه ورده ونظمه جماعة منهم وممن شرحه شرحاً انتقادياً شهاب الدين الخفاجي المصري صاحب الديوان المعروف وابو الثناء الالوسي البغدادي صاحب (روح المعاني) وسمى شرحه (الطرة) وزاد عليه ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ ملحقاً سماه التكملة ولكن في لحن العامة وممن رد عليه ابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ ورد على الحريري في الدرة ايضاً ابو جعفر محمد بن عبدالله المكي اللغوي المتوفى سنة ٥٦٠

ومن العلماء النقادين ابو نعيم علي بن حمزة اللغوي البصري المتوفى سنة ٣٧٠ رد على ثعلب في الفصيح كما انتصر له ابن خالويه ولابي نعيم هذا ردود على جماعة من اللغويين وصنف ابو حاتم المروي كتاب (الرد على ابي عبيدة) في غريب القرآن ولعبدالسلام بن عبدالرحمن اللخمي الاشبيلي المتوفى سنة ٦٢٧ كتاب يرد به على ابن سيده صاحب المخصص المتوفى سنة ٤٥٨

ومن كتب اللغة المشهورة التي انتقدها العلماء كتاب (العين) الذي يقولون انه اول كتاب وضع في اللغة ولكنه لم يكمل واشتهر انه لخليل بن احمد الفراهيدي الامام الشهير المتوفى سنة ١٧٥ ولكن انكر العارفون انه له كما اجمعوا على تشويشه وسوء ترتيبه وتطرق الخطأ اليه فاشتغل جماعة بترتيبه وتهذيبه واختصاره واكماله وانتقاد الاغاليط التي جاءت فيه وممن انتقده محمد بن عبدالله الاسكافي احد اصحاب الصاحب بن عباد في كتاب جمع فيه كثيراً من اغلاط الادباء واختصره ابو بكر المازني واستدرك عليه المفضل بن سلمة والفت كتب كثيرة بشأنه وتوجد من كتاب (العين) نسخة عَلَى نقصها في بعض بيوت النجف خطها وورقها عاديان

ومن رجال الانتقاد في اللغة مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس فقد خطأ جماعة من اللغويين منهم احمد بن فارس القزويني اللغوي صاحب (المجمل) المتوفى سنة ٣٩٨ فان الفيروزبادي جمع عليه الف وهم في كتابه المعروف بالمجمل وذلك في كتاب مستقل وكتاب المجمل هذا يقع في جزئين كبيرين ويوجد جزؤه الاول عند احد الادباء في النجف مخطوطاً في القرن السادس عَلَى ما اظن ولا احفظ السنة ويوجد منه جزء في مكان آخر ولا اعلم أهو الاول ام الثاني ومن خطأ صاحب القاموس ايضاً ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري صاحب (الصحاح) المتوفى سنة ٣٩٣ فان من يتصفح القاموس يجد نسبة الوهم الى الجوهري في مواضع كثيرة منه والقاموس انما بني عَلَى انتقاد الصحاح والزيادة عَلَى ما فيه ثم ان الفيروزبادي يضاهي ابن فارس اكثر مما يضاهيه من الجوهري عَلَى ان صاحبي المجمل والصحاح متعاصران ولا يعلم ان الجوهري أجاد فيما كتب اكثر من ابن فارس ولكنه انما تناول الاول وحطمته لتوفر الناس عَلَى مطالعة كتابه واشتهاره اكثر من المجمل فنال غرضه وهو ان نبذ القراء الصحاح واقبلوا عَلَى القاموس وهو وان كان اوفر مادة الا انه اعجمي اللهجة ثقيل العبارة عكس الصحاح

وانتقد الصحاح جماعة غير الفيروزبادي منهم الامام ابو عبدالله ابن بري المتوفى سنة ٥٧٢ سمى كتابه (التنبيه والايضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح) والقاضي الاكرم علي بن يوسف القفطي مؤلف تاريخ النحاة [1] من علماء القرن السادس كتاب (اصلاح الخلل الواقع في الصحاح) والصغدي صاحب شرح لامية العجم المتوفى سنة

(١) لعله الحكماء

٧٥٧ كتاب (نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم) وقد انتصر للصحاح على القاموس جماعة منهم القاضي اويس بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧ في كتاب سماه (مرج البحرين) ومنهم ابو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز نزيل مكة في كتاب سماه (الوشاح في رد توهيم المجد للصحاح) وقد اعتمد المؤلف في ردّه على مجمل ابن فارس ومختصر العين للزبيدي وعلى نسخة من نهاية ابن الاثير بخط المصنف وعلى نسخة وقعت له من الصحاح خالية من التصحيف والتحريف العارضين اللذين اوهما بعض المنتقدين فردّ على الجوهري في بعض المواضع وقد احسن نصير الصحاح هذا في دفاعه ماشاء ولا يكاد يوجد هذا الكتاب الانتقادي على انه مطبوع وهو يقع في ١٣٤ صفحة متوسطة طبع سنة ١٢٨١ ببولاق بالمطبعة الكبرى الممتازة

وقد الف النقادون كتباً في الرد على القاموس نفسه منها كتاب (الدر اللقيط في اغلاط القاموس المحيط) لمحمد بن مصطفى الشهير بداود زاده المتوفى سنة ١٠١٧ ولدي كتاب (القول المأنوس في شرح مغلق القاموس) وهو تعليقة جمعها مؤلفها من حاشيتين احداهما لعبد الباسط سراج الدين البلقيني والاخرى لجمال الدين الشهير بسعدي الرومي والكتاب مبني على ايضاح بعض الجمل والمفردات وقد تذكر فيه مواضع الخلاف بين صاحب القاموس وصاحب الصحاح وغيره ويزاد عليه من المعاني في الصحاح ماقد اغفله الفيروزبادي وردت فيه بعض المواد التي ادعى اغفال الصحاح اياها الى نسخة من الصحاح مصححة وجدت تلك الالفاظ في هامشها وخط التعليقة حسن متأخر وورقها جيد مذهب وصفحاتها ١٤٦ ولا اعرف لها ثانية

وممن انتقد القاموس وردّ عليه السيد علي خان صاحب (سلافة العصر) و (انوار الربيع) وهو احد اعلام الادب في القرن الحادي عشر فانه الف كتاباً ممتعاً في اللغة سماه (الطراز) ولكنه لم يتم ويوجد جزآن منه في بعض المكتبات الخاصة في النجف وسمعت صاحبه يقول انه تتبع سقطات صاحب القاموس كما تتبع هذا سقطات صاحب الصحاح فهو يقول ووهم (الفيروز بادي) كما يقول الفيروز بادي ووهم (الجوهري) وآخر من تجرد للرد على القاموس فيما اعلم المرحوم احمد فارس صاحب الجوائب وكتابه (الجاسوس) معروف عند المتأدبين وهو من احسن الكتب الانتقادية

ولما نهضت العربية في نشأتها الاخرى اعني بعد انتشار الصحف اخذ بعض الكاتبين يلتقط الالفاظ والاساليب العامية والركيكة المتجمعة من الاجانب ومن الشدم جرياً

في ذلك المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي فانه كتب في مجلة (الضياء) وفي غيرها فصولاً في الاصلاح اللغوي صحيح فيها اغلاط الكتاب وانتقد لهجتهم ولكنه اخطأ في اشياء بنى عَلَى خطإ القوم فيها ولا يزال يجب ان في الجرائد والمجلات شيئاً من الانتقاد اللغوي سواء كان ذلك عَلَى الكتب المؤلفة او في مقالات خصت بانتقاد اغاليط الكتابة العصرية والمقتبس هي المجلة التي تسير عَلَى هذا البدإ الصحيح الذي يبشرنا بحياة جديدة لهذه اللغة التي امتهنها اهلوها وحمل الناس عَلَى اهانتها افتعاد ابنائها عوارب الغرقة والجهالة

***

ومن الرسائل التي قرأتها في اللغة الانتقادية رسالتان وقفت عليهما في مجموعة ذات رسائل في موضوعات شتى واسم احداهما (سقطات العامة) وهي كراسة صغيرة مرتبة على حروف الهجاء وقد شذ منها بعض حرف الهمزة والرسالة غير منسوبة لاحد ولم اجدها في كشف الظنون الا ان لهجة كاتبها تدل عَلَى انه من المتأخرين والرسالة الثانية تقع في كراستين ونصف وهي كسابقتها مرتبة عَلَى الحروف لكنها خير منها واجمع انصع لفظاً وارصن تعبيراً ولم تنسب لمؤلف ايضاً وفي كثير من فصولها يذكر ما نصه (الزائد من كلام ابن الجوزي) ولعل هذا هو ابو الفرج عبد الرحمن صاحب كتاب (المدهش) الذي نشر المقتبس وصفه وخط الرسالتين سقيم حتى لا يكاد يقرأ هذا والى قراء المقتبس شيئاً مما جاء في سقطات العامة [1]

فصل الهمزة

مما جاء فيه (الايوان) بكسر اوله الصفة العظيمة والناس يفتحون همزته وهو لحن اذ هو لفظ عربي كالديوان ولكن يجوز الفتح في الديوان حكاه في القاموس

فصل الباء

مما فيه (البرية) بتشديد الراء الصحراء والجمع ابرار وتخفيف الناس رامزها (عامة العراق تشددها اليوم) غلط اذ هي بالتخفيف من برأ الله الخلق اي خلقهم (البشارة) هي بالفتح بمعنى الجمال والاسم من البشرى بكسر الباء وضمها للاغبر والناس (عامة العراق تسكن الباء) يفتحون الباء في الاسم من البشرى وممّا منهم (الباكرة) هي من مخترعات

---

(١) يراد بلعامة احط طبقات الهيئة الاجتماعية في العلم والآداب والظاهر انه يفتقد لغة بلاد خاصة من بلاد العرب فان بعض اللحن لا يوجد في بعض الاقطار وان كان بعضه عاماً

العوام وليست من كلام العرب والصحيح البكر (بنيامين) هو كاسرافيل اخو يوسف عليه السلام ولا تقل (ابن يامين) وقد شاع بين الناس ابن يامين ظناً منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي وهو غير الذي في معلقة طرفة (البلور) كَلَى وزن ثنور وسنور معروف فكسر الباء مع ضم اللام كَلِى ما هو المشهور لحن

فصل التاء

مما جاء فيه (التوأمان) هذه اللفظة تثنية توأم يقال اتأمت المرأة فهي متئم اذا وضعت اثنين وغلط الناس انهم يستعملونه بمعنى (التوأم) اي المفرد (الترجمة) بفتح الجيم مصدر تَفَعلَة وزن فعلة من ترجمه وترجم عنه اي فسر وما شاع بين الناس من ضم الجيم خطأ (التَرجمان) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة

فصل الثاء

مما فيه (الثقل) كمنبر ضد الخفة و يستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف وهو خطأ قال في القاموس الثقل واحد الاثقال كجمل واجمال (الثيب) يزيدون في هذه اللفظة تاء و يقولون (ثيبة) وهو خطأ لانها وردت مجردة عن التاء بلا خلاف

فصل الجيم

مما جاء فيه (جمادى الاولى والاخرى) فعالى كحبالى والعوام تستعمله (لم نسمع هذا الاستعمال) بالمجمعة المكسورة و يصفونها (هذا معروف) بالاول فيكون فيه ثلاثة تحريفات قلب المهملة معجمة والفتحة كسرة والتأنيث تذكيراً وكذا جمادى الاخرى يقولون فيها جمادي الآخر بلا ياء والصحيح الآخرة او الاخرى وهما معرفتان من اسماء الشهور وكذا ربيع الاول وربيع الآخر في الشهور واما ربيع الازمنة (يريد الفصول) فالربيع الاول باللام

فصل الحاء

مما جاء فيه (الحباب) يستعمله الاكثر في النفاخات التي تعلو على وجه الماء بضم الحاء وهو خطأ اذ هو بضم الحاء الحبة فالصحيح فتح الحاء (كعب الاحبار [1] هو بالحاء) المهملة واشتهر بين العوام بالمعجمة لكثرة ما يرو به من الاخبار قال في الصحاح كعب

---

(١) في القول المأنوس ما نصه قال المصنف وكعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار انتهى قوله (ولا تقل) قد وقع ذلك للمؤلف سيفي تبع وتبيع بن عامر بن امرأة كعب الاحبار

الحبر منسوب الى الحبر الذي يكتب به لانه كان صاحب كتب وقال صاحب القاموس ولا يستعمل الاخبار (اي بالمعجمة) الا في الروايات (الحبر) هو بالحاء المهملة من اسماء الاسد والعلمائون يستعملونه (هذا الاستعمال لا يعرف في العراق) بالمعجمة وههنا حمل المؤلف على الناس متأففاً من الجهل والتقليد فكأنه يدعو هم اعملوا مستقلين لا يضلكم القديم ولا العادات الموروثة فقال يستعملونه بالمعجمة لعدم زوال الكرازة منهم بتحصيل طرف من العلم بل ربما يسمعون الحق فلا ينتبهون لان ترك المألوف صعب ! (الحيوان) هو بالتحريك جنس الحي وأصله حييان ذكره في القاموس فاسكان الياء كافعلها العامة لحن

فصل الدال

مما فيه (الدعاوي) هي كمعاري [1] جمع المدعوى و بكسر الراء خطأ (الديانة) هي معروفة فلحن بعض العوام بتقديم النون على الياء (هو غير معروف) وقولهم دنانة عن الجهل كناية وعلى اللفظ جناية

فصل الذال

من بعض ما فيه (الاذعان) الغلط فيه من حيث يستعملونه بمعنى الادراك فيقولون اذعنت بمعنى فهمت والصحيح اذعنت له ومعناه الخضوع والذل (الاذناب) وقع في مختصرات الصرف (الزاجر عن الاذناب) زعموا انها الاذناب على وزن افعال جمع ذنب بمعنى الاثم وانما الاذناب جمع ذنب بفتح النون

فصل الراء

جاء فيه (المرثية) هي بالتخفيف مصدر قال في الصحاح رثيت الميت من باب رمى رثاءً ومرثية ايضاً اذا بكيته وعددت محاسنه فتشديد الناس ياءها (وهذا شائع بين المتعلمين الى الادب) لحن محض واما القصيدة فهي مرثي فيها (و يصح اطلاق المرثية عليها) (الرفاهية) هي بالتخفيف كالطواغية يقال فلان في رفاهية من العيش اي في سعة وخصب ولين والناس يلحنون (هذا الثمن شائع ايضاً) فيها بتشديد الياء

فصل الزاء

بعض ما فيه (الزعيم) هو بمعنى الكفيل قال سبحانه وتعالى (ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم) وفي الحديث (الزعيم غارم) فاستعمال الناس اياه على انه من الحسبان مبني على الزعم الفاسد

فصل السين

مما جاء فيه (السبق) من باب ضرب والناس يزيدون فيه تاءً فيقولون (السبقة)

---

(١) لو مثل بالفتاوى لكان احسن لان الصحاري بكسر الراء موجود صحيح

فهو لحن منهم ويمكن ان يقال يجوز ان تكون التاء للمرة كالضربة لكن من تتبع استعمالاتهم يعرف انهم لا يقصدون بها المرة بل يستعملونها بمعنى المصدر فقط فيقولون (هو من قبيل صبغة اللسان) (السحور) هو بالفتح اسم لما يتسحر به كالغبوق والصبوح لما يشرب في العشاء والصبوح ففتح السين (وبالضم يستعملونه اليوم بمعنى السحر الذي هو قبيل الفجر) كما يفعله بعضهم خطاء (السلس) عَلَى وزن كتف تقول شئ سلس اي سهل ورجل سلس اي لين منقاد وفلان سلس البول اذا كان لا يمسكه فالسليس بزيادة الياء عَلَى ما هو المشهور غير سلس بل هو لحن محض (مسيلمة) تصغير مسلمة اسم للكذاب المشهور فمن يقوله بالفتح و يدعي الصحة اكذب منه

فصل الشين

فيه (الشباهة) هي لفظة مستعملة بين الناس ولكن لا صحة لها والصحيح الشبه بفتحتين تقول بينهما شبه

فصل الصاد

فيه (الصلاحية) اخترعها اصحابنا بتشديد الياء واستعملوها لكنها من الالفاظ المهملة والمصدر هو الصلاح والصلوح

فصل الظاء

مما فيه (المظلة) بكسر اللام عَلَى وزن محدثة مصدر ظلم قال في الصحاح ظلم يظلم ظلاً ومظلمة انتهى والناس يفتحون لامها فيقولون مثلاً ضرب اليتيم مظلمة اي ظلم وهو خطأ اذ هي بفتح اللام ما تطلبه من الظالم وهو اسم ما اخذ منك

فصل العين

فيه (المعجب) شاع بين الناس بكسر الجيم وهو خطأ (المعدن [1]) بكسر الدال منبت الجوهر من ذهب ونحوه من عدن بالمكان يعدن اي اقام ومنه (جنات عدن) اي جنات اقامة (الاعطاف) هو جمع عطف بكسر العين بمعنى جنب الشيء والجانبان العطفان والناس يحسبونه جمع العطف بفتح العين بمعنى الاشفاق فيقولون (لا يبعد من الطاف مولانا واعطافه ان يفعل كذا) (عايَ) بتخفيف الميم خطأ والصحيح

(١) لم ينقد فيه شيئاً ولعله يريد ان استعماله في نفس الجوهر خطأ وليس كذلك : المقتبس الاظهر انه اراد شيوع فتح داله وهو خطأ لانه كمجلس ولذا قال الزبيدي في تاج العروس : وحكي كمقعد وليس بثبت اه

بتشديد الميم منسوب الى العامة (العيش) هو بفتح العين وكسرها على ما شاع خطأ لان العين اذا كسرت تلزم التاء كعيشة راضية

فصل الغين

مما فيه (الغذاء) بالذال المعجمة على وزن كساء ما به نماء الجسم وقوامه هكذا فسره في القاموس وقال في الصحاح (الغذاء) ما يتغذى به من طعام او شراب وقد شاع بين الناس بالدال المهملة اسماً لما يؤكل فقط نفيه غلطان (اي اهمال داله وتخصيصه بالطعام) واظنهم يغلطون من (الغداء) بالفتح والمد ضد العشاء بمعنى طعام الغد كما ان العشاء بالفتح والمد طعام العشاء (الغيبة) بالكسر من الاغتياب وفتح عينها لحن اذهي بالفتح مصدر بمعنى الغيوبة

فصل الفاء

فيه (الفراغة) هي لحن استعملوه من غير نكير لكن الصحيح الفراغ بلا تاء (الفلاكة [1]) هي من الالفاظ التي اخترعوها يستعملونها في ضيق الحال كأنهم اشتقوها من لفظ (الفلك) فقالوا به فلاكة وهو مفلوك اي اصابه الفلك

فصل القاف

فيه (القوابل) يستعملونها جمع قابل وهو جمع قابلة لان فواعل في الصفة جمع فاعلة الا فوارس جمع فارس على ما عرف في موضعه (القنديل) هو بكسر القاف معروف ووزنها فعليل لا فنعيل وفتح القاف لحن مشهور

فصل الكاف

(الكراهية) هي بالتخفيف من مصادر كرهه فتشديد الياء على ما فعله البعض مما يكرهه السمع ويمجه الذوق

فصل اللام

مما فيه (اللكنة) هي بضم اللام معجمة في اللسان يقال رجل الكن وقد لكن من باب ضرب كما ذكر في اللغة وما زالت اسمع من بعض العوام تحريف هذه الكلمة وارى بعض الناس حيارى في امثال هذه الاغاليط تاره يصيبون ولا يدرون اصابتهم

(١) اطلق على بعض الكتب المطبوعة اخيراً في مصر اسم (الفلاكة والمفلوكون) اي الفقر والفقراء وربما هذا الوضع فيها احسب من تأسر الكتاب لا من المؤلف والطابعون يفعلون ذلك كثيراً

ويخطئون ولا يدرون ولم لا يرجعون الى اللغة فيما أشكل عليهم حتى يخرجوا من ظلمة الشك الى نور اليقين

فصل النون

(المنبر) هو بكسر الميم لكن شاع بين العوام فتح ميمه (هو كذلك اليوم) وكذا ضم ميمه (النزل) بضمتين وبالتسكين ما يهيأ للنزيل اي الضيف والعوام يزيدونه واواً (لعلها من اشباع الضمة) وليس النزول الا مصدراً بمعنى الهبوط والحلول (النزلة) وهي الزكام يقال به نزلة والجمع نزلات والجاهلون يعبرون عنها بالنازلة ويجمعونها على النوازل (تجمع كذلك الآن) وهو خطأ اذ النازلة هي الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس كما نفصح عنه كتب اللغة (النقرس) هو داء معروف وزيادة الياء على ما هو الشائع بين العوام خطأ لان النقريس الدليل الحاذق (النكاة) بكسر النون جمع النكتة واذا ضممت النون حذفت الالف (فيقال النكت) وكثير من الناس يضمون النون ويثبتون الالف هذا بعض ما جاء في الرسالة الاولى ولعلي سأفي فرصة ثانية آتي بثانية الرسالتين

النجف — محمد رضا الشبيبي

بين الفيحاء والشهباء [1]

عمران حلب القديم والحديث

كان اجدادنا يقطعون المسافة بين دمشق وحلب في تسعة ايام على الدواب وها قد اصبحنا نقطعها في ست عشرة ساعة في القطار وهو يمر مر السحاب ولو وجدت الشركة داعياً قوياً لقطعت اليوم في ساعة فيفطر الراكب في الصباح في الفيحاء ويتعشى في حاضرة سورية البيضاء لان المسافة تقل عن اربعمائة كيلو متر يتيسر قطع الخمسين كيلو متراً في ساعة واحدة من رياق الى حلب والخط بينهما من النوع العريض وقطاراته منظمة اكثر من قطارات بيروت — دمشق — حوران او يافا — القدس او حيفا — دمشق — المدينة

(١) نشرنا بضعة فصول من هذه المقالات في جريدة المنتبس واذ رأينا العامة من قرائها تبرموا بها عمدنا الى قطع سلسلتها قبل ايرادتتمتها وزدنا عليها مافاتنا الالمام به وحذفنا منها مالاعلاقة له بموضوع المجلة

اتيت الشهباء او عاصمة سورية البيضاء [1] لاول مرة فرأيت فيها الصورة التي كانت تتخيلها المخيلة الا قليلاً وذلك لان القدماء والمحدثين اشبعوا الكلام عليها اكثر من كل بلد سواها ولان الحكومات التي توالت عليها رفعت من شأنها واعلت من بين البلدان ذكرها . وناهيك ببلد كان ينزله ويمدحه ويحن اليه مثل البحتري [2] والمتنبي والصنوبري وكشاجم والمعري والخفاجي وابن جبوس والوزير المغربي وابي العباس الصفري وابي فراس والحلوي وابن سعدان وابن حرب الحلبي وابن النحاس وابن ابي حصينة وابن الحداد وابن العجمي والملك الناصر وياقوت وغيرهم من رجال الادب والعلم . وما قاله الشعراء في مدحها يكاد يقرب مما قالوه في اختها الفيحاء فقد قال كشاجم:

ارتك ندى الغيث آثارها ... واخرجت الارض ازهارها
وما امتعت جارها بلدة ... كما امتعت حلب جارها
هي الخلد تجمع ما يشتهي ... فزرها فطوبى لمن زارها

وقال البحتري

اقام كل ملث الودق رجاس ... على ديار بعلوى الشام ادراس
فيها لعلوة مصطاف ومرتبع ... من بانقوسا وبابلى وبعاياس
منازل انكرتنا بعد معرفة ... واوحشت من هوانا بعد اينا
ياعلو لوشئت ابدلت الصدود لنا ... وصلاً ولان لعصب قلبك القاسي

هل لي سبيل الى الظهران من حلب ... ونشوة بين ذاك الورد والآس

وقال المتنبي

كما رحبت بنا الروض قلنا ... حلب قصدنا وانت السبيل
فيك مرعى جيادنا والمطايا ... واليها وجيفنا والذميل

اول من استوطن بقعة حلب [3] بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى مصر وقد كانت فرقة منهم فيما قيل انها تسمى الكيتا فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب . وسكن حلب ابراهيم الخليل ثم جاء بعده بنو آرام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك

(١) في قاموس الجغرافية القديمة : كان القدماء يطلقون هذا الاسم على شمالي الشام وارض كبدوكية Cappadoce وكيليكيا Cilicie الشرقية

(٢) الدر المنتخب لابن الشحنة

(٣) تحفة الانباء في تأريخ حلب الشهباء لهيشوث الجرماني .

البتعة واخرجوا منها اولاد حام فسميت مملكة الآراميين والسريانيين وقسموها الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة الآرام وهي من الفرات والثانية المملكة الشامية وهي دمشق وما قرب منها والثالثة مملكة آرام صوبا وهي الجبول من ضاحية حلب وما قرب منها

ووصفت حلب بالشهباء لان القادم اليها تتراءى له بيضاء من بعيد بخلاف غيرها من البلدان . ويقولون انها من بناء العالقة بدليل الكتابة التي وجدت على الحجر الاسود في الحائط بظاهر جامع القيقان داخل باب انطاكية مكتوبة بالخط الهيروغليفي بلغة الكيتا او الحماتيين وكانت هذه الكتابة مصطلحاً عليها في ايامهم وكان اسم حلب بلغتهم هلبون وهلبة واستمرت بايديهم الى ان اتى ملوك الفراعنة من مصر وحاربوهم وملكوها منهم وهم توتمس الاول وتوتمس الثاني وسيأتي ورعمسيس الاول وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسمائة سنة الى ثلاثة آلاف سنة ثم استردها الكيتا منهم صلحاً

واتى بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين وملكوها وذلك قبل التاريخ المسيحي بستمائة وستين سنة وقد عثروا في قرية من قرى جبل سمعان قرب حلب اسمها كفرنابو على الصنم الذي كان يعبده البابليون ومعنى نابو بلغتهم الله فيكون معنى كفرنابو قرية الاله

وفي سنة ٨٦٠ ق . م حارب شلمناصر الرابع الحماتيين وملك حلب في جملة ماملك من البلاد فظل ملوك الحماتيين تحت سلطة البابليين الى ان اتى ملوك العجم واستولوا على البلاد واخرجوا البابليين منها وبقيت بايديهم الى ان جاء الاسكندر واخذها منهم فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون لها حلبا ولما حولها حلبن بالحاء المعجمة وكانوا يقولون لما يرو با لانها فيما قيل تشبه احدى مدنهم ولعلها عربية من قولهم بريرى لان الناظر الى البرمن قلعة حلب يراه ممتداً امامه .

وجدد سلوقس نيكانور احد ملوك الروم قبل المسيح بثلاثمائة واثنتي عشرة سنة بناء نحو النصف من مدينة حلب وبنى القلعة وامر اليهود ان يختلفوا اليها للتجارة و يقيموا بها فكثرت دورهم حتى بلغت نصف ساعة طولاً ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي مملكتهم مع صوريه وانطاكية

واراد السلوقيون ان يزيدوا في بناء حلب ثم عدلوا موثرين لقنسرين لانها كانت اعظم والتجار يختلفون اليها اكثر فكانت تأتيها القوافل من البحر الى الفرات ومن الفرات الى البحر لان طريق قنسرين ولم يكن في حلب اذ ذاك قنسرين من

الصناعات وغيرها حتى ان تجار اوربا كانت تأتي اليها من السويدية في طريق انطاكية ويأتي اليها تجار العجم من الفرات بطريق بالس (مسكنة) ولم تكن الطريق في ذلك الوقت سالكة الى حلب الا من يقصد الذهاب الى منبج (هيرابلس)

وقنسرين هي التي نسب اليها احد اجناد الشام الخمسة وهي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والجند هنا بمثابة الفيلق في ايامنا يتجمع فيه الجند و يقبضون أعطياتهم قال ابن جبير: ان قنسرين بلدة شهيرة في الزمان لكنها خربت وعادت كأن لم تغن بالامس فلم يبق الا آثارها الدراسة ورسومها الطامسة ولكن تراها منتظمة لانها على محرث عظيم من البصر عرضاً وطولاً وقد فسر يافوت سبب خرابها ووصف موقعها فقال انها كورة بالشام منها حلب ففتحت على يد ابي عبيدة بن الجراح سنة ١٧ هـ وكانت مدينة بينها و بين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم و بعضهم يدخل قنسرين في العواصم وما زالت عامرة آهلة الى ان كانت سنة ٣٥١ وغلبت الروم على مدينة حلب وقتلت جميع من كان بربضها فخاف اهل قنسرين وتفرقوا في البلاد فلم يكن بها في القرن السادس الا خان ينزله القوافل وعشار السلطان وفريضة صغيرة وذكر ابن جبير الخانات من حلب الى قنسرين الى بانقدين ان خانات هذا الطريق كأنها القلاع امتناعاً وحصانة وابوابها حديد وهي من الوثاقة في غاية

والعواصم [1] حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الاعداء واكثرها في الجبال فسميت بذلك وربما دخل في هذا ثغور المصيصة (Mobsueste) وطرسوس (Antradus) وتلك النواحي ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان زمان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جنداً فلما استخلف الرشيد افرد قنسرين بكورها فصيرها جنداً وافرد منبج ودلوك ورعبان وقورس وانطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فسماها العواصم لان المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر وجعل مدينة العواصم منبج واسكنها عبد الملك ابن صالح في سنة ١٧٣ فبنى فيها ابنية مشهورة ذكرها البحتري في مدح سيف الدولة فقال :

لقد اوحشت ارض الشام طراً سلبت ربوعها ثوب البهاء

(١) معجم البلدان

تنفس والعواصم منك عشر فيوجد طيب ذلك في الهواء

جدد الملك كيرو بس الشروافي ما انهدم من سور حلب وقت حرب العجم وعمر بالقرب من باب انطاكية بيتاً للنار لانه كان ممن يعبدونها فاشتملت حلب اذ ذاك على اربعة انواع من الديانات وهي اليهودية والنصرانية وعبدة الاوثان وعبدة النار ثم دخل الاسلام وكانت حلب في المذاهب الاسلامية تختلف باختلاف الدول عليها شأنها في ذلك شأن دمشق فتارة تولي علياً واصحابه واخرى تولي غيره

ولما اراد بدر الدولة ابو الريش سليمان ابن عبد الجبار بن ارتق صاحب حلب بناء اول مدرسة للشافعية في هذه المدينة لم يمكنه الخليبون اذ كان الغالب عليهم حينئذ التشيع وكان اهل حلب كلهم سنية حنفية حتى قدم شخص الى حلب فصار فيهم شيعية وشافعية وهو الشريف ابو ابراهيم الممدوح

وقد اقى صلاح الدين يوسف بن ايوب وخلفاؤه على التشيع في حلب وكان المؤذنون في جوامعها يؤذنون بحي على خير العمل وحاول السلجوقيون الاتراك مرات القضاء على التشيع في هذه الديار فلم يوفق لذلك الا الملك الناصر صلاح الدين كما ضرب على التشيع في مصر وكان على اشده فيها على عهد الفاطميين بحيث لا يكاد عالم مصري يصرح بمذهبه اذ ذاك ولا يزال الى اليوم اثر من آثار التشيع بادياً على حائط صحن المدفن الذي في سفح جبل الجوشن بظاهر الشهباء وفيه ذكر الائمة الاثني عشرية وكان حكم بني حمدان وهم شيعة من جملة الاسباب التي نشرت التشيع في حلب وجوارها وابتدأت حكومتهم سنة ٣٣٣ هـ وانقرضت سنة ٣٨١ وفي سنة ١٤١ ظهر في حلب قوم يقال لهم الراوندية خرجوا بحلب وحيران وكانوا يزعمون انهم بمنزلة الملائكة وصعدوا تلاً بحلب فيما قالوا ولبسوا ثياباً من حرير وطاروا منه فكسروا وهلكوا

ولقد كان لحلب كما كان لغيرها من امهات المدن الاسلامية عرامة وشدة في التعصب على المخالفين وبعد في سيئات الجامدين تأليبهم على الشهاب السهروردي الحكيم الالهي العالم فقد حاورهم فبزهم في حضرة صاحب حلب الملك الظاهر غازي [1] بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف فلم يروا واسطة لاهلاكه احسن من الاستشفاع بوالد مليكهم فكتبوا اليه محضراً وبالغوا في عاقبة امر السهروردي حتى صدر الامر الى الملك الظاهر بقتل هذا الفيلسوف فاختار ان يلقى الله بمنع الطعام والشراب وعنه وهلك في قلعة

(١) تراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة

حلب وقبره فيها بلغني معروف الى اليوم ناعياً على الدهر تلاعب اولئك المتلاعبين بالدين والمتعصبين لاهواء نفوسهم زارياً على عصور الظلمات ولوكره السفسطائيون عاداً ذلك سيئة لاصلاح الدين وان كانت اعمال هذا كلها حسنات وايامه غرراً محجلات . قضى السهروردي ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره وكم مثله من حكيم قضت عليه اهواء معاصريه ولو عمر لملأ الدنيا علماً وعقلاً

وبعد فقد كان شأن حلب في العهد الاسلامي شأن سائر مدن الشام دخلت في حكم بني أمية ووليها عمالهم ثم انتقلت الى ايدي بني العباس ووليها صالح بن علي سنة سبع وثلاثين ومائة فنزل حلب وابتنى بها خارج المدينة من شرقيها قصراً بقرية يقال لها بطياس بالقرب من النيرب وآثاره باقية ذكرها البحتري وغيره في اشعارهم وقد كان جماعة من بني أمية اختاروا المقام بناحية حلب وآثروها على دمشق ومنهم هشام ابن عبد الملك انتقل الى الرصافة بخناصرة واختارها منزلاً ومنهم مسلمة بن عبد الملك سكن بالناعورة وابتنى بها قصراً بالحجر الصلد الاسود Sergiopolis

وما زال عمال بني العباس يتولون من امر حلب ما يتولون من سائر بلاد الخلافة حتى ولى المعتصم اشناس التركي الشام جميعه والجزيرة ومصر وجاء القرامطة حلب سنة ٢٩٠ فقاتلهم اهلها ودخل الاخشيد حلب وافسد اصحابه في جميع النواحي وقطعوا الاشجار التي كانت ظاهر حلب كانت كثيرة جداً وقيل انها كانت من اكثر المدن شجراً . قال ابن الخطيب : وكانت حلب كثيرة الاشجار وكان موضع بانقوسا (احد احيائها اليوم) اشجار كثيرة كما ذكر ابن الملا في تاريخه ايضاً فقد كان الاخشيد اذا نزل حلب يقطع اشجارها ويحاميرها فاذا اخذها ورجع الى مصر جاء سيف الدولة بن حمدان وفعل ذلك الفعل وتكرر ذلك منهما حتى فني مابها من الشجر ولذلك لما امر الملك المؤيد شيخ بتسقيف قصر القلعة امر ان يقطع له من الاخشاب من بلاد دمشق فقطعت وجيء بها الى حلب في غاية الطول ونهاية الغلظ وقيل ان بعض الاخشاب المذكورة كانت من بعلبك ولما جاء الصليبيون حلب سنة ١٨٥ اخذوا يقطعون اشجارها من جملة ما اتوه من تخريبها . وحدائقها المشجرة اليوم قليلة ليس بينها وبين نخلة المدينة نسبة

وتشرب حلب من نهر قويق وهو نهر ينبعث [1] على ستة اميال من دابق ثم يجري الى

(١) نجمة الدهر لشيخ الربوة

حلب ثمانية عشر ميلاً ثم الى قنسرين عشرين ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يصب في بحيرة المطيخ وذلك في زمن الشتاء وقال ياقوت ان مخرجه من قرية تدعى سبتات وقيل ان مخرجه من شناذر قرية على ستة اميال من دابق ثم يمر سيفي رساتيق حلب ثمانية عشر ميلاً الى حلب ثم يمتد الى قنسرين اثني عشر ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يغيض في اجمة هناك فمن مخرجه الى مغيضه اثنان واربعون ميلاً ومياهه اعذب ماء واصحه فيما قال ياقوت الا انه في الصيف ينشف فلا يبقى الا نزور قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب المخبر وقد وصفه شعراء حلب بما الحقوه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد يفرح بفلس مطلي من لم ير دينارا وقد احسن القيسراني في وصفه قوله :

رأيت نهر قويق فساءني ما رأيت
فلو ظمئت وأسقيـ ـت ماءه ما رويت
ولو بكيت عليـه بقدره ما اشتفيت

واسم قويق القديم شالوس [1] وسبب تسميته بقويق ان رجلاً من رؤساء عشائر التركمان في القرن الرابع للهجرة اسمه قويق اغا انشأ لهذا النهر عدة سدود ليجري جرية حسنة فاطلق اسمه على النهر من ذاك الحين وارباب الرفاعة يسمونه ابا الحسن وهو ينبجس اليوم من قرية اسمها جاغديغين من اعمال عينتاب ويجري الى قرية تبعد عن حلب ثلاث ساعات اسمها حيلان ويصب نحو ثلثه الى حلب تجري اليه فيه عدة ينابيع وجداول من قضاءي عينتاب وكليس وينضم اليه نبع عين التل وعين البيضا المنبجستين من جوار حلب وفي الشتاء تجري بقاياه الى خان طومان وتل طومان من اعمال جبل سمعان وتكون من مياهه بحيرة تجف بحرارة الصيف .

قال ابو فراس :

الشام لا بلد الجزيرة لذتي وقويق لا ماء الفرات مثاني
وايت مرتهن الفؤاد بمنبج السوداء لا بالرقة البيضاء

ويرى بعضهم ان نهر الساجور الذي كان اجراه ارغون الى حلب ليزيد به نهر قويق اذا أضيف الى ماء قويق تخصب اكثر ضواحي حلب . واصل نهر الساجور من عينتاب وتجتمع اليه عيون أخر من بلاد تل باشر ثم ينتهي الى الفرات ويصب فيه ويرى

(١) سالنامة (تقويم) ولاية حلب عن سنة ١٣٢٤ هـ .

آخرون ان خير ذريعة لتكثير ماء حلب اقتطاع ترعة من الفرات وهو من حلب على ١٨ ساعة ولا يمنع انخفاض مجراه عن الانتفاع به في حلب على علوها وكيف كان الحال فمتى زاد عمران الشهباء يفكر ابناؤها في تكثير مائها

وبعد فقد كانت الحرب سجالا بين سيف الدولة ابن حمدان والروم منذ استقرت له ولاية حلب سنة ٣٣٦ الى حين وفاته سنة ٣٥٦ فكان يغزوهم ويغزونه فتخرب حلب ثم تعمر واستولوا عليها سنة ٣٥١ وحرقها الدمستق وعاث فيها بالقتل والنهب والسبي وبعد تسعة ايام رحل عنها ولم تكن حكومة سيف الدولة مباركة على حلب بقدر ما صورها شعراؤه الذين كان يغدق عليهم عباءه ليقطع السنتهم ويشغلهم عنه ومن جملة ما قرأناه من مظالمه ان ابا الحصين هلال بن عبد الملك الرقي ولي قضاء حلب وكان ظالماً فاذا مات انسان اخذ تركته لسيف الدولة وقال: كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك

استولى الروم على معظم البلاد المجاورة كمرعش واذنة وطرسوس الا ان حلب لم يستولوا عليها وكذلك استولى الصليبيون على كثير من عمالاتها مثل انطاكية والسويدية ولم يقدر بودوين احد ملوكهم ان يستولي عليها سنة ١١٢٤ م وما زالت حالتها حال بلاد الشام على عهد الدولة الايوبية حتى وافاها التتر وحاصروها سنة ٦٥٨ حصاراً شديداً وقتلوا من اهلها كثيراً وقتل هولاكو اهل حارم عن آخرهم وسبى النساء وخرب اسوار قلعتها عن آخرها وجاء قازان التتري سنة ٦٩٩ فحاصر حلب وخربها وقتل وأسر كثيراً من اهلها وجاء تيمورلنك سنة ٨٠٣ واجرى في حلب ما اجراه في دمشق من الفظائع والنهب والقتل والسبي وفي سنة ٨٦٣ وقع الطاعون بحلب فاحصي من مات بها وبضواحيها فاربى على مائتي الف انسان وكادت تخرب بالقتل الاهلية سنة ٨٩٦ عن آخرها

كتب ابن بطلان الى هلال بن المحسن الصابي في نحو سنة ٤٤٠ هـ في دولة بني مرداس حلب فقال انها بلد سوّر بحجر ابيض وفيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية وشرب اهل البلد من صهاريج تملؤه بماء المطر وعلى بابه نهر يعرف بقويق يمد في الشتاء وينضب في الصيف وفي الوسط دار علوة صاحبة البحتري وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ ومن عجائب حلب ان في قيسارية البز عشرين دكاناً للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون الف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة والى الآن وما في حلب موضع خراب اصلاً اه

قلنا وقد اشتهرت حلب في عامة ادوارها باتساع تجارتها لوقوعها في طريق القوافل وتوسطها من بلاد الروم والجزيرة والعراق والشام ولذلك لم تحط صناعة البز او الاقمشة حتى في ايامنا هذه كما انحطت في معظم بلدان الشام لان لها من بلاد الروم مصارف تنفق فيها سلعها وبعتقد اهل الروم الخير في تجار الشهباء فلا يعاملون غيرهم للالف والعادة وذكر المقدسي ان من التجارات التي كانت تحمل من حلب القطن والثياب والاشنان والمغرة

قال يا قوت ولاهل حلب عناية باصلاح انفسهم وتثمير الاموال فقلما ترى من نشأتهما من لم ينقبل اخلاق آبائه في مثل ذلك فلذلك كان فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة ويتوارثونها ويحافظون عليّ قديمهم بخلاف سائر البلدان . هذا ما وصف به الحلبيون منذ نحو سبعة قرون وهي اخلاق لم تبرح متسلسلة في اعقابهم الى يوم الناس هذا ولذلك صح ان يقال ان الحلبيين اغنى من الدمشقيين والبيروتيين والحوبين والحمصيين والطرابلسيين والنابلسيين والمقدسيين والعكاويين واليافاويين والحيفاويين

وصف ابن حوقل [1] مدينة حلب في القرن الرابع فقال انها مدينة جند قنسرين وكانت عامرة جداً غامة باهلها كثيرة الخيرات كان لها سور من حجارة لم يغن عنهم من العدو شيئاً فخرب الروم جامعها وسبى ذراري اهلها واحرقها وكان بها قلعة غير طائلة ولا حسنة العمارة فليجأ اليها قوم من اهلها فنجوا وهلك بها من المتاع والجهات للغرباء واهل البلد وسبيها وقتل من اهل سوادها ما في اعادته ازماض من سمعه ووهن عليّ الاسلام واهله وكان لها اسواق حسنة وحمامات وفنادق ومحال وعراص فسيحة وهي الآن كالمتماسكة ولم تزل اسعارهم في الاغذية وجميع المآكل قديماً واسعة رخيصة وعليهم الآن للروم في كل سنة قانون يؤدونه وضريبة تستخرج من كل دار وضيعة معلومة وكأنهم معهم في هدنة وليست وان كانت احوالها متماسكة وامورها رضية بحال جزء من عشرين جزءاً مما كانت عليه من قديم اوقاتها وسالف ايامها

ووصف ابن جبير حلب في القرن السادس فقال : ان هذا البلد موضوعه مخرج جداً حفيل التركيب بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماط صنعة الى سماط صنعة اخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فسكانها في ظلال وارفة فكل سوق ما تقيد الابصار حسناً وتستوقف

(١) المسالك والممالك

المستوفز تبجحاً واما قيساريتها فحديقة بستان نظافة وجمالاً مطيفة بالجامع المكرم لا يتشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من ارائي الرياضية قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللها شرف خشبية بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاء منظرها اجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من ابواب الجامع المكرم

وقصارى القول فان عمران حلب القديم يشبه عمرانها الحديث الا قليلاً ومن اعظم ما يجعل الشبه كثيراً بين ادوارها المختلفة ذاك الحجر الابيض المتين الذي يبني الحلبيون به بيوتهم وحوانيتهم. وخاناتهم وتكاد تظن الشوارع والحارات والمساكن قطعة واحدة لانها كلها مبلطة معمولة من صنف واحد من الحجارة تنبسط له النفس بخلاف الحجر الاسود الكئيب المستعمل في البناء بدمشق وحمص وغيرهما

وقد اصاب حلب من مقوضات دعائم العمران في القرون الاخيرة ما اصاب غيرها من بلدان سورية ومنها الزلازل والاوبئة التي اقشعرت فيها عقيب استيلاء السلطان سليم العثماني عليها سنة ٩٢٢ بعد وقعة دامت ست ساعات بين جنده المؤلف اذ ذاك من ثمانين الفاً وثمانمائة [1] مدفع وجند الغوري الجركسي سلطان مصر والشام الذي كان ضعيف التدبير قليل النظام وذلك في مكان يعرف بمرج دابق على بضع ساعات من حلب ونهض الحلبيون ففتحوا ابواب مدينتهم للفاتح بزعامة خيربك والي حلب من قبل الجراكسة كما تلقاه اهل دمشق كذلك لان الناس كانوا سئموا في مصر والشام من حكم الجراكسة وعلقوا الآمال الطويلة بدولة ابن عثمان الفتية القوية وقد استولى السلطان سليم على مليوني ذهب ومهمات كثيرة كان اذخرها الغوري في خزانة حلب ليقوى بها على محاربة العثمانيين والاستيلاء على القسطنطينية منهم فعجل الله باهلاك الغوري وانفض الناس من حوله وابقى السلطان العثماني البلاد على حالتها الاولى من حيث الادارة في حلب وخطب فيها له لاول مرة ملقباً بخادم الحرمين الشريفين

والظاهر مما في ايدينا من تواريخ حلب انها لم تزل ارتقاء محموداً على عهد العثمانيين بعد ان كانت في عهد العباسيين تضاهي بعظمتها بغداد والموصل على قول شيخ الربوة وكان جيش الانكشارية (بكي جرى) وغيره من اكبر ادوات التخريب ينسفون العمران ولا تسف المصائب السماوية ولم ينتظم لها امر بحكومة الاقطاعات والنهب الا عندما جرى تأليف الولايات على النسق المتعارف اليوم في السلطنة سنة ١٢٨٣ هـ .

(١) سالنامة حلب عن سنة ١٣٢٤ هـ .

فدخلت الحكومة في طور قليل من الانتظام واصبحت الحال تحسن باحسان الولاة الذين يتولونها فاذا كانوا اعفة قادرين على الادارة يزيد عمران حلب والا فيقف او يتقهقهر وممن ساعد على عمرانها الحديث وتنظيمها وفتح الشوارع الجديدة فيها على الاصول المدنية جميل باشا ورائف باشا .

ويكفي في تقدير غنى حلب في القرون الوسطى والقرون الحديثة ايراد دخلها من الجباية والعشور وغيرها والمقابلة بينها . هذا مع غلاء النقود اذ ذاك ورخصها في الايام الاخيرة . فقد كان ارتفاع حلب [1] سنة تسع وستمائة في الايام الظاهرية دون البلاد الخارجة عنها والضياع والاعمال ستة آلاف الف وتسعمائة الف واربعاً وثمانين الفاً وخمسمائة درهم وذكر ابن شداد تفصيل هذه الارتفاعات من الزكوات والعشور وضرائب البقول والفواكه والخيل والجمال والبقر والغنم والرقيق والصناعات والغلات والحطب والفحم والخشب والحديد والقنب وغير ذلك من الحكورة والمواريث وغيرها فكانت في بعض النسخ ٧٤٣٠٥٤٠٠٠ درهم

وقال ياقوت [2] ومسافة ما بيد مالكها في ايام الملك العزيز من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها الا مقاطعات يسيرة ونحو مائتين ونيف قرية مشتركة بين الرعية والسلطان وهي بعد ذلك تقوم برزق خمسة آلاف فارس مزاحي العلة موسع عليهم . قال الوزير الاكرم ابن النقطي وزير صاحبها لياقوت الحموي: لو لم يقع اسراف في خواص الامراء وجماعة من اعيان المقاربة لقامت بارزاق سبعة آلاف فارس لان فيها من الطواشية المقاربة ما يزيد على الف فارس يحصل للواحد منهم في العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر الف درهم ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الامراء الف فارس وفي اعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخائرها وارزاق متحفظيها خارجاً عن جميع ما ذكرناه وهو جملة اخرى يسيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها هنيأ وخبوباً ما يقارب في كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع اليها في العام الماضي وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التي يجبى فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع سبعمائة الف درهم وهذا مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى

(١) الدر المنتخب (٢) معجم البلدان

فيها متظلم ولا متهضم وهذا من بركة العدل وحسن النية اهـ وقد بلغ دخل حلب سنة ١٣٢٢ شرقية من ضريبة الاملاك والبدل العسكري والاغنام والجمال والاعشار وغيرها ٤٥٦٤٥٨٦ غرشاً صحيحاً ودخل لواء حلب كله ٢٩٤١٦٧٠٤١٦ غرشاً وبلغ دخل ولاية حلب كلها في تلك السنة ويدخل في ذلك لواء آمرعش واورفة ٤١٩٣٢٣١٠٧ قروش صحيحة انفقت الحكومة على جندها وموظفيها وغير ذلك ٦٧١٥٣٤٤ غرشاً هذا مع ان الجباية لعهدنا فاحشة والضرائب متعددة اكثر من الادوار السالفة . ويقدرون قيمة الدراهم اليوم بثلاثة قروش صحيحة

غنى حلب ولغتها ومعاهدها وتدليها

لما كانت حلب في طريق قوافل الهند اصبحت ممتازة بموقعها منذ القديم بين البلدان ومعدودة قاعدة شمالي سورية وقد كان الافرنج ولا يزالون فيها اكثر عدداً مما هم في دمشق لانها اقرب منفذ لاتصال الشرق بالغرب فكان تجارهم يأتونها من ثغر السويدية يتجرون مع اهلها ويقايضون محصولاتهم بمحصولاتها ومحصولات الشرق ولا سيما الهند وفارس والعراق

وكانت فرنسا والبندقية (١) اول البلاد الاوربية التي اتجرت مع حلب واقامت معها الصلات المهمة والمكاتب التجارية ثم جاء الانكليز في القرن السادس عشر وتلاهم الهولانديون ولا يزال الافرنج فيها الى اليوم يقربون من عدد اخوانهم نزلاء بيروت وبعضهم تناسلوا في حلب وارتاشوا وتأثلوا وعدوا كأنهم من اهلها . وقد كان البنادقة يتجرون بالبهار يأخذونه من حلب بكميات وافرة كما كانوا يجلبون منها الشب والقطن

واهم ما اصاب حلب من الزلزال زلزلة سنة ١١٧٠ م على عهد نور الدين محمود بن زنكي فقام يرممها وقلعتها وقد اصيبت بزلازل مدمرة في قرون مختلفة وآخرها زلزال سنة ١٨٢٢ الذي خرب به ثلثاها وزلزال سنة ١٨٣٠ ونهضت حلب على عهد حكم ابراهيم باشا المصري من سنة ١٨٣١ الى ١٨٤٠ م اذ قد جعلها معسكراً له

لا يتجاوز سكان حلب في التعداد الرسمي الـ ١٣٠ الفاً وربما كانوا في الحقيقة نحو ١٨٠ ثلثاهم او اكثر من المسلمين والباقون روم ويهود وارمن وموارنة وكاثوليك وبرتستانت ولكل طائفة من الطوائف الغير الاسلامية عدة مدارس ابتدائية .

(١) دليل بيدكر لسوريه وفلسطين

والمسيحيون متشبعون بالعربية اكثر من اخوانهم المسلمين لانهم اكثر عراقة في التعلم بفضل مدارسهم الطائفية والافرنجية . اما المسلمون فان المتعلمين منهم يتعلمون على الطريقة التركية ليعيشوا عالة على التوظف ولذلك ترى الشعور العربي يقل في حلب مع ان اهلها كلهم يتكلمون بالعربية اللهم الا بضع مئات من الاتراك الاناضوليين الذين ينزلونها للتجارة او الموظفين الذين يأتونها لخدمة الحكومة

وليس للمسلمين مدارس اهلية راقية والمدارس التي تصيغ المأمورين هي المدرسة السلطانية وكانت اعدادية من قبل فقلبوا اسمها كما قلبوا اسم كثير من اسماء المكاتب الاعدادية في امهات المدن العثمانية والمكتب الرشدي العسكري ومكتب الصنائع وفيها ٩٢ كتاباً ومدرسة ابتدائية اميرية و ٣٩ مدرسة لغير المسلمين و ٣٢ مدرسة دينية وبعضها عامر و ٣ مكاتب للاناث و ٧ خزائن كتب عامة كان فيها ١٦٠٠٠ منزل ونحو ٨٠٠٠ دكان ومخزن و ١١٧ خاناً و ١٠٦ احياء و ١٦٩ جامعاً و ١٨٢ مسجداً و ١٩ تكية وزاوية و ٤٠ حماماً و ٢١ كنيسة وديراً و ٤ بيع و ٢٩ طاحون ماء و ١٢٨ طاحوناً على الدواب و ٣٠٠٠ نول و ١١٢ فرناً و ٨ مدابغ و ٢٧ معمل مناديل وزهاء ١٠٠ قهوة و ١٢ معمل صابون و ٥٠ خمارة و ١٨٨٥ حديقة

وحلب برزخ بين البلاد العربية والتركية وعلى نحو اربعين كيلومتراً من شمالي حلب يقل المتكلمون بالعربية وتصبح البلاد تركية محضة وان كان من اقضية حلب القريبة من لا يعرفون غير التركية من الفلاحين اسكنتهم الحكومه هناك مهاجرين من بلاد بعيدة . فمعظم اقضية لواء حلب يتكلم اهلها بالتركية كما ان اهالي لواء ي اورفة ومرعش يتكلمون بالتركية و بعض العشائر في لواء مرعش يتكلمون بالكردية وفي بعض الاقضية جراكسة يتكلمون بالجركسية وهم مهاجرون و بعض السكان في بعض الاقضية من التركمان والعرب

ويمكن ان نلخص من ذلك ان جهات الغرب من حلب كلها عرب وهي عبارة عن اقضية ادلب وحارم وجسر الشغور ما عدا بعض قرى من اعمال حارم سكانها جركس وسكان العمق اكراد ومن الشمال من حلب الى قبيل كليس عرب وتتكلم بعض قراهم بالتركية والعربية ومن كليس الى اورفة فصاعداً كل السكان اتراك ومن الجهة الشرقية جميع السكان عرب وكل قضاء الباب في الشرق الشمالي من حلب عرب وفيهم قليل جداً من التركمان والاتراك والاكراد والجراكسة وكل قضاء منبج جركس نزلوه حديثاً

وفيهم عرب وقضاء الرقة عرب وقضاء المعرة في الجنوب عرب كله . ويقال ان اهالي قضاء عينتاب يتكلمون بالتركية وقضاء كليس وان تكلم اهل المركز بالتركية فان النواحي يتكلم اهلها بالعربية والتركية والكردية

واهل قضاء اسكندرونة يتكلمون على الاكثر بالتركية والارمنية واهل انطاكية منهم من يتكلم بالتركية ومنهم من يتكلم بالعربية فيصح ان يقال فيهم ان تركيهم تعرب وعربيهم تترك واهالي ادلب كلهم عرب وكذلك اهالي حارم وفي بعض قرى هذا القضاء مهاجرون من الاتراك والجركس والتاتار واهالي قضاء بيلان يتكلمون بالتركية واهل اقضية المعرة والباب وجبل سمعان واهالي مركز قضاء جسر الشغر وناحية المضيق عرب وناحية اردو اتراك واكثر اهالي قضاء منبج من مهاجري الجراكسة واهل قضاء الرقة عرب واهالي قضاء حران منهم من يتكلم بالعربية ومنهم بالكردية .

هذه هي اللغة الغالبة على حلب واعمالها وليس اليوم في هذه المدينة ما يستحق الذكر من اعمال العمران سوى بناياتها الجديدة التي أقيمت الاقليلاً على مثال ابنية الامم الراقية منفردة بعضها عن بعض ليتخللها الهواء والشمس بعيدة عن الطرق العامة لان السكان من عادتهم اليوم ان يؤخروا بناء بيوتهم وحوانيتهم ما امكن ويعطوا فضل اراضيهم للشارع حتى يكبر بحسب الخريطة التي تريدها البلدية ولذلك تجد الاحياء الجديدة مثل العزيزية والجميلية فسيحة عريضة كأنها بنيت في يوم واحد او هي لرجل واحد وكان من ذلك ان صرفت واردات البلدية القليلة وهي لا تتجاوز الستة آلاف ليرة مسانهة على تنظيف المدينة وتطهيرها وتنويرها

ولقد كنا نود ان نرى في الشهباء نهضة عملية راقية لما عرف في اهلها من الذكاء والمضاء والحساب للعقول ولكن رأينا الخاصة الذين يرجى منهم ان يسيروا في المقدمة متشاغلين بحويصة انفسهم ومن كان على خطتهم من المتأدبين وأبهم النيل من الكبراء وارباب النفوذ والثراء ممن يتوفرون على اعنات الفقراء واجتجان الصفراء والبيضاء وربما صح اكثر هذه الشكوى ولكن لا حيلة فيمن اعجزوا الحكومة وعرفوا كيف يصرفونها على ما يشاؤن . وعندنا ان يترك الطعن جانباً وتتعارف الطبقة المستنيرة الى الطبقة القابضة على زمام البلاد من الاعيان الموسرين ليتسنى بذلك النهوض بالشعب المسكين وتثقيف عقول الناشئة وما دام الاختلاف مستحكماً بين المنورين والموسرين فالغرباء يجدون سبيلاً الى التلاعب ويتطبق ذلك مع رغائبهم

نحن نعتقد انه ربما كان من ارباب اليسار من جمعوا ثرواتهم الطائلة من طرق غير مشروعة في حكومة عبد الحميد وقبله ولكننا نعتقد ان منهم من جمعوها بالاتفاق كأن تتوالى سني الجدب — والخصب قلما يدوم سنين كثيرة في حلب وعملها — فيأتي الفلاح باكياً شاكياً الى ذاك الوجيه يتخلى له عن كل ما يملك من عقار وارض ليعوله وعياله ويدفع عنه الضرائب والعشور التي يتعذر عليه جداً في غير سني الخير ان يقوم بها حق القيام

وسواء جمع ارباب اليسار ما يملكون بالطرق القانونية المشروعة او من السحت البحت وارهاق الفلاح والعبث بمصلحة الفقير فان من ملك ملك ومن هلك هلك وليس من وسيلة الآن لنزع ما ملكوا من ايديهم فالاحجي ان تحسن سياستهم في الجملة للانتفاع من اموالهم تصرف على اعمال الخير وانشاء الكتاتيب والمدارس . وما نظن اكثرهم الا قانعين من الطبقة المستنيرة بالسكوت عما مضى . وماثم في الغابر هو ولا جرم نتيجة ضعف الحكومة وفسادها ولو عرفت منذ القديم كيف تحسن سياسة الرعية وتدفع الناس بعضهم عن بعض لما اختل النظام ولرضي الخاص والعام .

نحن نعلم ان اموال الاغنياء هنا بل وفي كل مكان تصرف على الاكثر فيما لا يرضى عنه الادب والاخلاق وان ابناء الطبقة الوسطى امضى عزائم واجمل اخلاقاً ولكن ليست المهارة في النقد من بعيد بل المهارة بدخول المجتمع واصلاح ما امكن من مفاسده ومهلكاته . ان في التباعد جفاء وفي الاجتماع حسن تفهم وكم من عدو لك يتحكك به ينقلب على الزمن صديقاً وكم من صديق يكون بابتعادك عنه عقوقاً .

ان ما رأيناه من حلب وهي ماهي من عظمتها وغناها وما نقل لنا وشهدناه من نوع ضروب الفجور والملاهي فيها ابكانا على قاعدة من اهم قواعد الشام وكهف عظيم من كهوف الاسلام ودعانا الى ان ننسب القصور للعالمين والجاهلين على السواء فلا يخلص من تبعة هذا الانحلال عاقل واللوم يلحق العالم قبل ان ينال الجاهل

تالله لو صرفت حلب ربع ما تنفقه في سبيل اللهو والموبقات على المعارف والآداب الرافعة لاصبحت في بضع سنين ذات مدنية راقية . وبعد أليس من العار ان تكون نابلس في فلسطين وهي مشهورة بانغماسها في حمأة الجهالة وصغيرة بعدد نفوسها اقرب الى التعلم من حلب دخل من ابناء اعيانها بضعة وعشرون ليدرسوا في مدارس الاستانة العالية وبضعة قصدوا ديار الغرب ولا نرى الا عدداً قليلاً من الحلبيين يقصدون

الاستانة ليتخرجوا في مدارسها ليجيء منهم اتكاليون من عباد الوظائف وعبيد الحكومة ولا نرى في الغرب من ابنائهم سوى اثنين او ثلاثة فقط وبهذا نرجو النهوض ونتوسل باسباب الارتقاء

أليس من العار ان يكون بلد يبلغ بمساحته ضعفي مساحة دمشق وفي غناه التجاري من اهم المدن التجارية في البلاد العثمانية وفي طيب مناخه من اجود البقاع وفي مضاء سكانه مثلاً مشهوراً ثم لا تشيد فيه صحيفة عربية واحدة تصدر باسم رجل مسلم من اهلها يعرف طرق الاصلاح ويحسن المطالبة به . ولا مدرسة ابتدائية اهلية تعلم ابن الفلاح والتاجر والصانع ما يلزمه في دينه ودنياه ولا ناديا ولا جمعية ولا شركة تنفع في التعارف والتعاطف والتكافل .

ان معظم البلاد استفادت من نعمة الدستور فهبت تتعلم وتفكر في الاصلاح ولكن حلب على ما ظهر لنا في مؤخرة البلدان التي لم تدرك حتى الآن ما يراد بالحرية . ان تلك الطائفة التي تعتز اليوم بأموالها وبنيها سيجيء عليها زمن تدثر هي وماجمعت ومن جمعت لم ان لم تعالج ذاك الضعف المميت بقوة العلم والاخلاق ويستخلف ربنا غيرها في ارضهم ممن يصلحها شأنه في خليقته منذ دحى الارض ورفع السماء

قلعة حلب

اصاب الآثار القديمة في هذه المدينة ما اصاب آثار غيرها من البلدان فلم يبق منها الا انقاض تنبيء بغلالة السلف في تجويد البناء واحكامه ومن اهم هذه العاديات قلعة حلب فهي الفخر ما سفي الديار الحلبية من القلاع بنيت وسط المدينة على اكمة ربما كانت صناعية ويحيط بها خندق عظيم كان القدماء يملأونه ماء ليتعذر الوصول اليها الا من مدخلها وهذا من احصن ما يتصور العقل ويقال ان مدينة بروا Berœa اي حلب القديمة كانت كلها مبنية في هذه القلعة وقد تعاورتها الايدي بالبناء في قرون مختلفة وظلت مسكونة الى سنة ١٨٢٢ م ايام خربت بالزلازل

يسير الداخل الى القلعة على جسر بديع اقيم فوق الخندق فيبلغ برجاً خارجاً جعل في واجهته انواع من نوافذ الحديد البديع قيل انه من عهد الملك الظاهر لما وجد في مدخله من كتابة تاريخها سنة ٦٠٥ مع بعض الآيات الكريمة وقد بذل بعض علماء الآثار قدراً وافراً من المال لتقلع تلك النوافذ واخذ حديدها واحجارها الى متاحف اوربا فلم تقبل الحكومة ولا تزال تحظر الدخول الى القلعة الا برخصة لانها جعلت فيها مستودعاً

لبعض المهمات العسكرية وفي دهليز القلعة المتعرج عدة كتابات ونقوش بارزة على الحجر ومنها صورة نمرين على يمين الباب ويساره من اجمل ما زيرت ايدي الناقشين على الصخور فاذا دخل المرء من الباب وجد ساحة وآثار عدة شوارع وركاماً من الانقاض بعضها انقاض جامع ومأذنة وأخرى انقاض اروقة واخرى محال لرصد العدو وفي الوسط صهريج كبير يستقى منه الى اليوم ماء عذب والغالب انه من ماء المطر . والناظر الى حلب من قلعتها يدرك عظمتها ويتجلى له بهاؤها الفسيح البديع ولا سيما زمن الربيع وقد اكتست السهول والجبال بحللها السندسية

قال ابن الشحنة اول من بنى قلعة حلب سلوقس الذي بنى مدينة حلب وهي على تل مشرف على المدينة وعليها سور محكم البناء وفي وسطها بئر ينزل اليها بمائة وخمس وعشرين درجة قد هندست تحت الارض ويقال لها الآن ساطورة وكان بها دير للنصارى ويقال ان في اساسها ثمانية آلاف عمود ولما ملك كسرى حلب بنى بها مواضع ولما فتحها ابو عبيدة في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه رمم اسوارها لانها خربت بسبب زلزلة كانت اصابتها قبل الفتح فاخربت اسوار البلدة والقلعة

ولما استولى نقفور ملك الروم على حلب سنة ٣٥١ امتنعت عليه القلعة ولم يكن لها يومئذ سور محكم ومن ذلك الوقت اهتم الملوك بعمارة القلعة وتحصينها فبنى سيف الدولة وابنه سعيد الدولة وبنو مرداس وعماد الدين اق سنقر وابنه عماد الدين زنكي وابنه نورالدين محمود وابنه الملك الصالح وللملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وحسنها وبنى بها مصنعاً لماء ومخازن للغلات وبنى سفح تلها بالحجر الحرفلي واحلى بها الى مكانه الآن وبنى على الباب برجين لم يبن مثلهما قط وجعل لها ثلاثة ابواب حديد ولما تسلم التاتار القلعة اخربها واخرب اسوارها واخذ ما كان بها من الذخائر والزرد خانات والحقايق ولم يبقوا بها مكاناً للسكنى واستمرت خراباً الى ان جددت عمارتها في ايام الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولما اقى التركمان اخرب اسوار البلد والقلعة واحرقها واستمرت خراباً الى ان جاء الامير سيف الدين جكم نائباً من قبل الملك الناصر فرج برقوق فأمر ببناء القلعة والزم الناس بالعمل في الخندق وازال التراب منه حتى انه عمل بنفسه واستعمل وجوه الناس بحيث كان الامراء يحملون الاحجار على ظهورهم اهـ

هذا اجمل تاريخ لهذه القلعة البديعة اكبر قلاع سورية واهمها الى القرن العاشر . وما نظن العثمانيين جددوا فيها شيئاً بعد الى يومنا هذا وقد وصفها ابن جبير في رحلته فقال

ومن كمال خلالها المشترطة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع وقد صنع عليه جبان فهما ينبعان ماء فلا تخاف انظماً ابد الدهر والطعام يصهر فيها الدهر كله وليس في شروط الحصانة اهم ولا آكد من هاتين الخلتين و يطيف بهذين الجبين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد و يعترض دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة اعظم من ان تنتهي لي اوصفه وسورها الاعلى كله ابراج منتظمة فيها العلالي المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقاناً وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية اه . وهذا اختصر وصف للقلعة زمن عزها وعمرانها ايام كان بها « يضرب المثل في الحسن والحصانة لان مدينة حلب في وطاء من الارض وفي وسط ذلك الوطاء جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره والقلعة مبنية في رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء وفي وسط هذه القلعة تصل الى الماء المعين وفيها جامع وميدان و بساتين ودور كثيره »

وما احرى هذا الحصن بقول البحتري من قصيدة يصف بها ايوان كسرى :

لو تراه علمت ان الليالي ... جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم ... لايشاب البيان فيهم بلبس
ليس يدري أصنع انس لجن ... سكنوه ام صنع جن لأنس
عمرت للسرور دهراً فصارت ... للتعزي رباعهم والتأسي
فلها ان أعينها بدموع ... موقفات عَلَى الصبابة حبس
ذاك عندي وليت الدار داري ... باقتراب منها ولا الجنس جنسي

زراعة حلب

ليس في ظاهر حلب من الحدائق الانيقة ما يبلغ نحو عشر ما في ظاهر دمشق عَلَى كثرة الماء وجودة التربة هنا . اما في اعمالها فتنبت اكثر الحبوب وتجود معظم الثمار ولولا قلة الري التي تحدث بعض السنين بقلة الغابات وتدرجها نحو الفناء وما يعشش في اوباضها من الجراد في معظم السنين لكانت زراعتها كزراعة بلاد دمشق واكثر ومع هذا فان افضية دمشق لا تعادل افضية حلب في زيتونها قال المهلبي وتجلب من كور حلب وضياعها ما يجمع جميع الغلات النفيسة فان بلدة معرة مصرين وجبل السماق بلد التين والزيتون والزبيب والفستق والسماق والحبة الخضراء وقال ابن شداد وفي بعض ضياع حلب ما

يجمع عشرين صنفاً من الغلات . وقال ابن الشحنة ومما اختصت به حلب ماء الورد النصيبي الذي يستخرج بالباب من اعمالها فانه لا يوجد في الدنيا مثله بحيث لا يقاربه شيء مما يجلب الى الديار المصرية من الشام مع ان المجلوب من دمشق عند المصريين في غاية العظمة بحيث يصفه اطباؤهم للمرضى فيقولون ماء ورد شامي . وقال ياقوت ويزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عديماً لا يسقى الا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصاً غضاً رويّاً يفوق ما يسقى بالمياه والسيح . وقال ابن حوقل ان ما حول معرة نسرين من القرى اعذاء ليس بجميع نواحيها ماء جار ولا عين وكذلك اكثر ما بجميع جند قنسرين اعذاء ومياههم من السماء وقال ابن جبير في بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقاً

ويصدر من حبوبها اليوم [1] الحنطة والشعير والارز والقطن والحمص والعدس والبقلاء وبذر الكتان والابنسون والسمسم والخردل والكزبرة اليابسة والماش والقصب والدخان وغير ذلك ومن الثمار الفستق الجيد في اقضية حلب وقلعة الروم وعينتاب ويجود الزيتون كل الجودة في اقضية حلب واداب وكليس وحارم وعينتاب وانطاكية وجسر الشغر وتزيب ويجود الليمون والبرتقال بين انطاكية واسكندرونة وفي حلب والباب يجود الرمان وفي اريحا الكرز والوشنة كما يجود في حلب واعمالها انواع الثمار والبقول على اختلاف ضروبها

ويجود التوت في اقضية انطاكية واسكندرونة وبيلان وحارم بكثرة فيكون منه حرير جيد وفي اقضية الولاية ولواء مرعش مثل اقضية جسر الشغر وانطاكية وبيلان وكليس واسكندرونة وقلعة الروم من اعمال اورفة تخرج غابات كثيرة كالبلوط والدردار والصنوبر والعفص والدفلى وغيرها وفي جبال البستان تخرج على اطراف الانهار والجداول اشجار برية من الحور والصفصاف وفي السهول عرق السوس في داخل الولاية بكثرة التين والعنب والاحاص والمراق وفي السواحل الليمون والبرتقال والكباد والطرنج ويكي دنيا وفي هذه الولاية يكثر البصل والثوم ويجود البطيخ الاحمر «الجبس» من وراء العقل وتزرع البطاطا في بعض الانحاء كما ان الكمأة تستخرج من باديتها وسهولها

(١) التقويم حلب السنوي ١٣٢٤

هواء حلب وصحتها

يبلغ ارتفاع حلب خمسمائة متر عن سطح البحر وبالنظر لتعرضها لحرارة الشمس من جهاتها الاربع وعبث الرياح التي لا يحول دونها حائل من الانجبار او غيرها كان يردها شديداً وحرها عَلَى تلك النسبة فهواؤها اقل اعتدالاً من هواء دمشق يزيد في ذلك قلة مياهها في الدور كما هي في دور الفيحاء المشهورة بقناعاتها واحواضها . فهواء حلب جاف معتدل للغاية ولولا بناء منازلها بالحجر لضاقت انفاس سكانها ايام القيظ وقد تبلغ درجة الحرارة الاربعين او اكثر بالميزان المئوي وقد تنزل الحرارة في الشتاء الماضي الى تحت الصفر بخمس وعشرين درجة .

ومع ذلك تجد لاهل حلب رجالاً ونساء من صحة الاجسام ونضرة الوجوه ما لا تكاد تجد مثله في معظم البلاد الداخلية من سورية . قال المهلبي واما اهل حلب فهم احسن الناس وجوهاً واجساماً والاغلب عَلَى الوانهم الدرية والحمرة والسمرة وعيونهم سود وشهل . فاما اما البياض الناصع فهو كثير للغاية ويزيده رونقاً في بعض النساء تلك الحبة التي تخرج عَلَى الاغلب في الوجوه وتترك اثراً في الخدود بحجم الريال يزيدها رونقاً وحسناً

وهذه الحبة يقال لها في هذه البلاد حبة حلب وهناك يقال لها حبة السنة وليست في الحقيقة خاصة باهل حلب بل يشترك فيها سكان الشرق حتى بلاد فارس . واختلف العلماء في تعليلها فقال قوم انها تخرج لخاصية في ماء حلب ولو صحت هذه النظرية (١) لكان اهل عينتاب وروم قلعة (قلعة الروم) وبيره جك (البيرة) واورفة (الرها) وخربوت ودياربكر والموصل ودير الزور وبغداد ناجين منها والحال انها تصيبهم كما تصيب الحلبيين حذو القذة بالقذة . وقال قوم انها منبعثة من الماء ولو كان الامر كذلك لاقتضى من ذلك ان تطلع في سكان القرى البعيدة ساعتين عن حلب عَلَى انك لا ترى لها فيهم اثراً

واغلب الاطباء عَلَى انها من الامراض السارية ودليلهم عَلَى ذلك ان ابراهيم باشا المصري لما قدم حلب كان في حملته رجل من قرية بشامون في لبنان أصيب بالقرحة المذكورة وقبل ان يبرأ منها عاد الى بلاده فعدى بها اهل قريته ويقال انها لا تزال الى اليوم موجودة ويقال لها الحبة الشامونية

(١) تقويم حلب الرسمي

والحقيقة ان امر هذه القرحة لم يبرح سراً غامضاً على الاطباء ومرضاً جلدياً يصاب به الاطفال في الطفولية وبعض الغرباء الذين ينزلون حلب في الكبر وتقيمون فيها سنة وقد يتجون منها واعراضها عبارة عن بثور تظهر في اي طرف كان من اطراف الجسم ويكون في الوجه اواليد اوالرجل غالباً حتى اذا شفيت بدون ان تنشأ عنها وجع تترك آثاراً وندوباً بيضاء ويصاب بها الغرباء والوطنيون على السواء كما يصاب بها الكلاب والقطط وكثيراً ما تخرج بعد ان يغادر المرء البلاد بزمن

متنزهات حلب

لتغير اسماء المتنزهات كما لتغير اسماء البلدان بتغير الازمان فمن متنزهات حلب القديمة « اشمونيث » قال ياقوت انها عين في ظاهر حلب في قبلتها تسقي بستاناً يقال له الجوهري واه فضل منها شيء صب في قويق ذكره منصور بن مسلم بن ابي الخرجين يتشوق حلب

ايا سائق الاظعان من ارض جوشن سمحت ونلت الخصب حيث تريد
الى اين عنها تشغف مابي من الجوى فلم يشف مابي عالج وزرود
هل العوجان الغمر صاف لوارد وهل خضبته بالحلوق مدود
وهل عين اشمونيث تجري كمقلتي عليها وهل ظل الجنان مديد
اذا مرضت ودت بان ترابها لها دون اكحال الأساة يرود
ومن جرب الدنيا على سوء فعلها يعيب ذميم العيش وهو حميد
اذا لم تجد ما تبتغيه تخض بها غمار السرى ام الطلاب ولود

« بابلا » قرية كبيرة بظاهر حلب بينها نحو ميل وكانت عامرة آهلة في ايام ياقوت قال الوزير ابو القاسم بن المغربي

حن قلبي الى معالم بابلا حنين المولة المشغوف
مطلب اللهو والهوى وكناس الـ ـخرد العين والظباء الهيف
حيث شط اقويق مسرح طرفي والاساي موانسي واليفي

« بطياس » قال ياقوت اهل حلب كالمجمعين على ان بطياس قرية من باب حلب بين البيرة وبابلا كان بها قصر لعلي بن عبد الملك بن صالح امير حلب وقد خربت القرية والقصر قال البحتري

يا برق اسفر عن قويق فطرتي حلب فأهلي القصر من بطياس
عن منبت الورد المعصفر صبغه في كل ضاحية ومجنى الآس

ارض اذا استوحشت ثم اتيتها حشدت علي فاكثرت ايناسي

وقال ايضاً

نظرت وضمت جانبي التفاتة وما التفت المشتاق الا لينظرا
الى ارجواني من البرق كلما ثنمر علوي السحاب تعصفرا
يضيء غماماً فوق بطياس واضحاً بيض وروضاً تحت بطياس اخضرا
وقد كان محبوباً الي لو انه اضاء غزالاً عند بطياس احورا

« تل ماسح » قرية من نواحي حلب ذكرها امرؤ القيس في شعره

بذكرها اوطانها تل ماسح منازلها من يربعيص وميسرا

« جوشن » جبل مطل على حلب في غربيها في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة وقد اكثر شعراء حلب من ذكره جداً فقال منصور ابن مسلم بن ابي الخرجين النحوي الحلبي من قصيدة

عسى مورد من سفح جوشن نافع فاني الى تلك الموارد ظمآن
وما كل ظن خلته المرء كائن يحوم عليه للحقيقة برهان

وقال ابن سنان الخفاجي

يابرق طالع من ثنية جوشن حلباً وحي كريمة من اهلها
واسأله هل حمل النسيم تحية منها فان هبوبه من رسلها
ولقد رأيت فهل رأيت كوقفة للبين يشفع هجرها في وصلها

قال الخفاجي ومن هذا الجبل كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه « حربنوش » قرية من قرى الجزر من نواحي حلب قال حمدان بن عبدالرحيم الجزري

الاهل الى حث المطايا اليكم وشم خزامى حربنوش سبيل

« دابق » قرية قرب حلب من اعمال عزاز بينها وبين حلب اربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة وبقربها قرية اخرى يقال لها دو بيق قال عيسى بن سعدان الحلبي

ناجوك من اقصى الحجاز وليتهم ناجوك ما بين الاحص ودابق
أمفارقي حلب وطيب نسيمها يهنيكم ان الرفاد مفارقي
والله ما خفق النسيم بارضكم الا طربت من النسيم الخافق
واذا الجنوب تخطرت انفاسها من سفح جوشن كان اول ناشق

« الدارين » هو ربض الدارين بحلب ذكره عيسى بن سعدان الحلبي في موضع من شعره فقال :

يا سرحة الدارين اية مسرحة ... مالت ذوائبها علي تحننا
ارمى بواديك الغمام ولا عدا ... نفس الخزامى الحارثي وجوشنا
أمنفرين الوحش من ابياتكم ... حباً بظبيكم اساً او حسنا
اشتاقه والاعوجية دونه ... ويصدني عنه الصوارم والقنا

وقال الاعشي :

وكأس كعين الديك باكرت خدرها ... بفتيان صدق والنواقيس تضرب
سلاف كأن الزعفران وعندما ... يصفق في ناجودها ثم يقطب
لها ارج في البيت عال كأنه ... الم به من بحر دارين اركب

« دير حشيان » بنواحي حلب من العواصم ذكره حمدان بن عبد الرحيم فقال:

يا لهف نفسي مما اكابده ... ان لاح برق من دير حشيان
وان بدت نفحة من الجانب الـ ... غربي فاضت غروب اجفاني
وما سمعت الحمام في فنن ... الا وخلت الحمام فاجاني
ما اعتضت مذ غبت عنكم بدلاً ... حاشا وكلا ما الغدر من شاني
كيف سلوي ارضاً نعمت بها ... ام كيف انسى اهلي وجيراني
لا خلق رقن لي معالمها ... ولا اجنني انهار بطنان
لكن زماني بالجزر اذكرني ... طيب زماني به فأبكاني

« دير رمانين » يعرف ايضاً بدير السابان وهو بين حلب وانطاكية معلق على بقعة تعرف بسرمد وهو دير حسن كبير وكان خراباً في القرن السادس وآثاره باقية وفيه يقول الشاعر:

الف المنام بدير رومانينا ... للروض الفاً والمدام حزينا
ولكأس والابريق يعمل دهره ... وتراه يجني الآس والنسرينا

« دير عمان » بنواحي حلب ونفسيره بالسريانية دير الجماعة قال فيه حمدان بن عبد الرحيم الحلبي :

دير عمان ودير سابان ... مهجتي غرامي وزدن اشجاني
اذا تذكرت منهما زمناً ... قضيته في عرام ريعاني

ومرّ ابو فراس بن ابي الفرج البزاعي فقال مرتجلاً :

قد مررنا بالدير دير عمانا ... ووجدناه داثراً فشجانا
ورأينا منازلاً ومطولاً ... دارصات ولم نر السكانا
وارتنا الآثار من كان فيها ... قبل تفنيهم الخطوب عياناً
فبكينا فيه وكان علينا ... لا عليه لما بكينا بكانا
لست أنسى يادير وقفتنا فيـ ... ـك وان اورثتني النسيانا
من اناس حلوك دهراً فحلو ... ك واسوا قد عطلوك الآنا
فرقتهم يد الخطوب فاصبحـ ... ـت خراباً من بعدهم اسيانا
وكذا شيمة الليالي تميت الـ ... ـحي منا وتهدم البنيانا
حربا ما الذي لقينا من الدهـ ... ـر وما ذا من خطبها قد دهانا
نحن في غفلة بها وغرور ... وورانا من الردى ما ورانا

« دير مرقس » من نواحي الجزر قال حمدان بن عبدالرحيم يذكره :

الا هل الى حث المطايا اليكم ... وشم خزامى حزنبوش سهيل
وهل غفلات الدهر في دير مرقس ... تعود وظل اللهو فيه ظليل
اذا ذكرت لذاتها النفس عندكم ... تلاقي عليها وجدة وعويل
بلاد بها امسى الهوى غير انني ... اميل مع الاقدار حيث تميل

وذكر ابن الشحنة في تاريخ حلب طرفاً صالحاً من متنزهات حلب فقال انها كثيرة فمنها ما يقصد في ايام الاعياد والمواسم ويستوي فيه الخاص والعام كباب المقام واخلاً وخارجاً يجعل فيه فيالات [1] وتعمل فيه انواع الفنون وتعقد به الحلق لارباب الصنائع ويباع فيه انواع المآكل وكذلك خارج باب النيرب وخارج باب الفرج الى ارض الماتين والمجدية وخارج باب النصر وظاهره بالقوسا وظاهر باب قنسرين ماداً الى جسر الانصاري . واما ما يقصد في سائر الايام والاوقات التي تحظر للمتزهين فاولها من جهة القبلة الابيض ثم مرج الخالدي وعين مباركة وعين اشمونيث وهي المعروفة بعين اشمول وارض بطياس والسعدي وهو فضاء فياح تجري فيه انهر متشعبة من نهر واحد بحافتيها مروج خضر وبها من الزهر المختلف ما لا يبلغه الوصف ثم الجوهري وهو بستان قديم وصفه الشعراء والبلغاء ومنها الانصاري وجسراه المعروف احدهما بمحفل ابن رافع والفيض وجندبات وزاوية عباس

(١) الفيال بالكسر والفتح لعبة للصبيان يخبئون الشيء في التراب ثم يقسمونه ويقولون في ايها هو

ومنها ارض الخوابي وطواحين السلطان ومشهد الزرازير وبستان شمس لولو وجبل جوشن والقلوات وجسر الطواشي وبستان البقعة وبستان المعجمي والكهف وبستان الجزيرة والحميشي وقيصر ومرجة القرابين وجسر باب انطاكية وجسر باب الجنان وجنينة المهتدار المعروفة آخر وقت بابن نجيح وبستان الوزير وجبرة الانكليس ومنها بابلى وهي قرية قريبة متصلة ارضها بارض بانقوسا بها عدة جواسق وبحرات وجنينات وغير ذلك . ومنها قرنبيا وجبل النخلي والمزازة والميدان الاخضر ومشهد سيدي فارس وقسطل الحاجب وبعادين ومرجة اغلبك وارض باصفراء وعين التل والارض المسماة بالجوز سميت به لاشجار جوز عظام كثيرة الظل على شاطئ النهر ممتدة الى حيلان وحوش البدوية وهو مكان فياح على نشز من الارض ينبت فيه الشيح والقيصوم والقرنفل والصعتر ومنها الخناقية والكنتف الازرق والارض المجدبة وجورة الاسقف التي بها بستان النصيبي وتجاه مرج السلحولية ثم جنينة عبهد والناعورة وارض الحلبة ورأس الطابق والنهربات وهي مسافة يومين من اول المسلمية الى تل السلطان .

وللصنوبري الشاعر قصيدة طويلة في وصف بعض متنزهات حلب وقراها القريبة جاء فيها

حبذا البآت باءآ ت قوتى وربا ها
بانقوسا ها بها باهى المياه حين بلها
ويا صفرا وبا بلا وبا (؟) مثلي وتاها
لاقلي صحراء نافر (؟) قلّ شوقي لا قلاها
لا سلا اجبال باسـ ـين قلبي لا سلاها
وبياسلين فليبـ ـخ ركابي من بغاها
والى باشقليشا ذو التناهي بلنا ها
وبعاذبن فواها لبعاذبن وواها
بين نهر وقناة قد تلثه وتلاها
وبجاري بوك يجلـ ـو همومي بجتلاها
ورياض تلتقي آ مالنا في ملتقاها
زاد اعلاها علواً جوهراً لما علاها
وازدهت برج ابي الحا رث حسناً وازدهاها

واطيبت مشرف الحمـ ـن اشتياقاً واطيباها
وارى المنية فازت كل نفس بمناها
اذهواي العوجان السـ ـالب النفس هواها
ومقيلي بركة الثـ ـل وصيبات رحاها
بركة تربتها الكا فور والدر حصاها
كم غرافي طربي حيـ ـتانها لما غراها
اذ تلا مطبخ الحيـ ـتان منها مشتواها
يمروج اللهو القت غير لفاتي عصاها
ويمغنى الكاملي اسـ ـتملت نفسي مناها
وغرت ذا الجوهري الـ ـحزن غيثاً وغراها
كلأ الراموسة الحـ ـناء ربي وكلاها
وجزى الجنات بالـ ـعدى بنعمى وجزاها
وفدى البستان من فا رس صب وفداها
وغرت ذا الجوهري الـ ـحزن محلولاً غراها
واذكروا دار السليما نية اليوم اذ كراها
حيث عجنا نحوها العيـ ـس تباري سيفي براها
وصفا العافية المو سومة الوصف صفاها
فهي في معنى اسمها حذ و بحذو وكفاها
وصلا سطحي واحوا ضي خليليَّ صلاها
وردا ساحة صهر يـ ـجي عكّي سوق رداها
وامزجا الراح بماء منه اولا تمزجاها
حلب بدر دجى از جمها الزهر قراها

للرحلة صلة

قانون الجماعات

وشرح المنهمض منه

ابنت في جزء سبق ان القوانين التي تبحث عن افعال الناس الناشئة من اجتماعاتهم تقسم الى قسمين : قسم له مساس بالامن العام رأساً وآخر بالواسطة وقلت ان افعال الناس المجتمعة التي قد تخل بالامن العام تظهر في مظهرين . الاول دائمي والآخر موقت

والقانون الذي يبحث عن الاجتماعات الدائمة قانون الجمعيات وقد مرت ترجمته وشرح شرحاً اجمالياً . واما القانون الذي يبحث عن الاجتماعات الموقتة فهو قانون (الجماعات) وهو موضوع بحثنا اليوم .

***

هذا القانون كناية عن (١١) مادة فقط . وهو مأخوذ عن القانون الصادر في فرنسا عام ١٨٨١ وكثير الشبه به . وقد نشر في ٢٠ جمادى الاولى عام ١٣٢٧ موافق ٢٧ ايار سنة ١٣٢٥ . عقيب حوادث ٣١ آذار المعلومة .

***

المادة الاولى — . العثمانيون احرار في عقد الاجتماعات العامة بلا سلاح . وبشرط الرعاية للمواد الآتية فلا حاجة لاخذ الرخصة .

ايضاح — . اطلق واضع القانون حرية الاجتماع بهذه المادة بكل صراحة . لان هذا حق من حقوق الامة الطبيعية متولد من حرية الكلام وحرية تعاطي الافكار وحرية اتحاد الآمال .

الاجتماعات قسمان (١) سياسي (٢) وغير سياسي وكلاهما جائز . والدليل قول واضع القانون (الاجتماعات العامة) كما مر في المتن بدون قيد

وهنا تجد بيننا وبين فرنسا فرقاً معجباً نظر . وهو ان قانون الاجتماع الفرنساوي يمنع الاجتماعات لاجل الانتخابات . واما قانوننا فيجوزها كما هو مستفاد من اطلاق هذه المادة . اي ان قانون الاجتماع الفرنساوي لا يسوغ الاجتماع الا للمرشحين والمنتخبين فقط . واما قانوننا فهو مطلق الحرية للمرشحين والمنتخبين ولكل ناظر

ثم مر في متن المادة كلمة (العثمانيون احرار) فيفهم من هذا بان الاجانب محظورون

من الاستفادة من هذا الحق . لان لكل كلمة مفهومين : مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة . فان ذكر احدهما يستدل على ان الآخر غير مقصود وغير مطلوب . فقول واضع القانون هنا (العثمانيون) يدل بانه قصد اخراج غير العثمانيين من مدلول هذه الكلمة . ومن هنا يستدل بانه لا يسوغ لغير العثمانيين الاستفادة من حق الاجتماع .

يقول بعض علماء اصول الادارة المكية ولا سيما الاستاذ ضياء بك بجواز عقد الاجتماع من قبل الاجانب نزلاء بلادنا بشرط ان لا يتدخلوا بالسياسة المحلية . واما هذا العاجز فيرى ان هذا القول من قبيل التوسع الفكري وليس من التفسير القانوني . لان القانون حصر هذا الحق بالعثمانيين حصراً بيناً بقوله (العثمانيون احرار) بدون تقييد بشيء آخر .

اما اذا قيل بان هذا حق لكل الافراد طبيعي لا يجوز نزعه من الاجانب . فاقول بان القوانين توضع في الاصل لاجل تحديد كل حق يحتمل ظهور اقل ضرر منه . وناهيك بما يقول له الاجانب حق وهم متفردون وحينئذ احكم كما تشاء على ما يمكن حدوثه منهم وهم مجتمعون . فلهذا السبب ارى الاكتفاء بصراحة القانون اوفق للاحتياط والتبصر بعواقب الامور . واما ان قيل : اما يسوغ لهم الاشتراك مع العثمانيين في اجتماعاتهم ؟ — فاقول ايضاً لا يجوز لان القانون وحساب العواقب هكذا يقضيان لان اقل امر يحدث في اثناء الاجتماع ربما احدث اعظم المشاكل مع الدولة التي ينتسب اليها هذا الاجنبي . ولذلك كان اتباع ظاهر القانون اوفق واسلم وانفع . ولا سيما اذا كان الاجتماع سياسياً فعدم قبول الاجنبي فيه من اضر الضروريات لا علاقة له به مطلقاً .

مر في المتن ايضاً كلمة (بلا سلاح) فاذا كان المجتمعون مسلحين علناً او سراً فهذا الاجتماع ممنوع . اما ان كان شخصان او ثلاثة من بين هذا الجمع الغفير مسلحين فيجب على هيئة الادارة تجريدهم من سلاحهم واذا امتنعوا فمنع الاجتماع مسلحاً ومنع .

مر في المتن ايضاً بان الاجتماع غير متوقف على اخذ اذن من الحكومة . نعم لا يجب الاستئذان لذلك الا انه لما كان من الممكن وقوع ما لا تحمد عقباه اثناء الاجتماع اشترط واضع القانون بعض الشروط على مسببي الاجتماع حفظاً للامن العام . وهذه الشروط مدرجة في المادة ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ كما سيأتي بيانها .

المادة الثانية — . قبل الاجتماع يجب تنظيم بيان يتضمن يوم الاجتماع وساعته

ومحل وقوعه وان يمضي من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع وان يكونا نائلين حقوقها المدنية والسياسية على شرط ان يصرحا باسميهما وشهرتيهما وصفتيهما ومحلي اقامتهما

ايضاح — ٠ الاجتماع غير منوط باذن الحكومة ٠ الا انه يجب اخبارها بوقوعه لاجل اتخاذ التدابير اللازمة خوفاً من وقوع ما يكدر الخاطر ولاجل منع الاجتماعات الغير الجائزة قانوناً بمقتضى المادة ٣ و٦ و٧ و٨ و٩ من هذا القانون

قيل في المتن (يجب تنظيم البيان قبل الاجتماع) ٠ وهذه المدة يجب ان تكون (٤٨) ساعة ٠ لتتمكن الحكومة من جلب قوة عسكرية كافية من المحال الاخرى ان لم يوجد هناك عسكر ٠ اما فرنسا فجعلت هذه المدة (٢٤) ساعة ٠ بالنظر لكثرة المواصلات هناك وسهولة جلب العسكر ٠

مر في المتن ايضاً ضرورة بيان (يوم الاجتماع وساعته ومحل وقوعه) وهذا ايضاً ضروري ٠ لتتخذ الحكومة التدابير اللازمة بالوقت المعين خوفاً من اجراء الاجتماع قبل ان تتخذ الحكومة التدابير الاحتياطية ٠

وهكذا قيل في المتن (يجب ان يمضي من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع) فاذا امضى البيان شخصان احدهما متوطن في البلد الذي سيقع الاجتماع فيه والثاني من بلد آخر فهو جائز بنظر القانون ٠ وقصد واضع القانون من كلمة (محل) البلاد والقصبات والقرى ٠

مر في المتن (نائلين حقوقهما المدنية والسياسية) واليك البيان :

الحقوق المدنية — ٠ هي ان يكون غير ساقط من هذه الحقوق وهي مذكورة اجمالا في المادة ٣١ من قانون الجزاء ومدرجة في الصفحة (٤٦٥) من مقتبس هذه السنة في شكل خلاصة الخلاصة

الحقوق السياسية — ٠ هي الحقوق التي تؤهل المرء للاشتراك في ادارة المملكة ٠ مثل حق انتخاب المبعوثين وحقوق التوظف في دوائر الحكومة والعسكرية الخ ٠

ثم يجب ان يصرح هذان الرجلان اللذان سيمضيان البيان باسميهما وبشهرتيهما وبجميع علائمهما المميزة ليسهل على الحكومة البحث عنهما عند الاقتضاء ٠

المادة الثانية — ٠ يعطى البيان في استانبول لنائب الضابطة وفي المحفات للولاة والمتصرفين والقائمقامين والمديرين ، ويجب ان يعطاه البيان يؤخذ بمقابله علم وخبر ٠

وان يعطى علم وخبر فليقدمي البيان تنظيم ورقة ضبط وامضاؤها من شخصين من الحاضرين يكونان من الحائزين على الشروط المدرجة في المادة الثانية . وحينئذ يسوغ عقد الاجتماع . ويجب التصريح باليوم والساعة التي سيقع الاجتماع فيها في العلم وخبر وورقة الضبط . اما الاجتماعات التي تقع بلا علم وخبر وورقة ضبط فهي ممنوعة . ويجازى مرتبو الاجتماع بالحبس من اسبوع الى شهر او بالتغريم بجزاء نقدي يختلف بين الثلاث ليرات وخمس عشرة ليرة

ايضاح — . (ورد بان البيان يعطى باستانبول لناظر الضابطة) . اما وقد اصبحت استانبول ولاية كسائر الولايات فيجب والحالة هذه اعطاؤه للوالي بها .

ثم اذا امتنع مأمور الادارة عن اعطاء علم وخبر في مقابل البيان فعلى مقدمي البيان لتنظيم ورقة ضبط تبين امتناعه . ويجب ان يمضى هذا المضبط من رجلين آخرين غير مقدمي البيان . وبهذه الصورة تكون ورقة الضبط محتوية على اربعة امضاآت . اثنان مدعيان واثنان شاهدان لاجل محاكمة المأمور . وجزاء من يمتنع عن اعطاء هذا العلم والخبر قطع راتب شهر لاول مرة واذا تكرر فيطرد من مأموريته وفقاً للمادة (١٠٢) من قانون الجزاء .

العلم وخبر لا يتضمن الترخيص بل يتضمن الاستخبار من قبل من هو مكلف بحفظ الامن العام . اي ان معنى البيان الاخبار ومعنى العلم والخبر وثيقة لاجل عدم الانكار في المستقبل . حتى اذا وقع محظور من الاجتماع وسئل عنه مأمور الادارة المذكية واراد الانكار وادعى بانه لم يعلم بوقوع الاجتماع ليتخذ التدابير اللازمة يقال له ان المجتمعين قد اخبروك وهذا العلم والخبر دليل على ذلك اذاً انت متهاون ولهذا انت جدير بالجزاء هذا هو سر لزوم اعطاء البيان والعلم والخبر لا غير . لان الاجتماع غني عن الاستئذان لكونه حقاً من الحقوق الطبيعية . اما الاجتماع الذي يقع بدون اخبار الحكومة بتاتاً فهو ممنوع . اي ان للبوليس الحق في فضه اولاً بالكلام ثم بالتهديد ثم بالاكراه ثم ان الضرب والجرح والقتل الذي يقع من مأموري الضابطة اثناء ايفاء وظائفهم يؤدي الى المعذرة بموجب المادة ١٨٩ من قانون الجزاء العام وقانون البوليس والجندرمة الخصوصيين وعلى هذا فني كلمة (ممنوع) فسخ الاجتماع بكل التدابير حتى تصل الى قتل من يخالف امر البوليس . وهذا الاخير غير مسؤول عن هذا القتل بالنظر لما هو مصرح به في المادة المذكورة من قانون الجزاء .

وبعد تفريق المجتمعين يجازى المرتبون بالجزاء المدرج في متن المادة المذكورة آنفاً.

المادة الرابعة — . يجب ان تمر ثمانية وار بعون ساعة بين اعطاء البيان وعقد الاجتماع.

من سبب هذا اعلاه في شرح المادة الثانية .

المادة الخامسة — . يجب ايضاح سبب الاجتماع والمقصد منه في البيان .

ايضاح — . حتى يتسنى للحكومة منع الاجتماع الغير القانوني ولاجل التبصر في مقدار العسكر الذين يجب ارسالهم للمحافظة ولاجل ارسال مأمور خاص لمحل الاجتماع للنظارة عليه وحتى اذا ما خرج عن الموضوع يفسخ الاجتماع الخ

المادة السادسة — . الاجتماعات ممنوعة في المحال المكشوفة والقريبة مقدار ثلاثة كيلو مترات من سراي السلطان المعظم ومن دائرتي المبعوثان والاعيان اثناء انعقاد المجلس العمومي .

ايضاح — . مر في المتن كلمة (مكشوفة) ومعناها ان الاجتماع يقع اما في محال مكشوفة او في محال مغلقة اي ذات سقف وباب . ومثال الاول الساحات والعراص ومثال الثاني القهاوي ودور التمثيل والاندية . لماذا؟ لان من الاجتماعات ما يجب اجراؤه في محل مغلق كالمخابرات العلمية . لان هذه لا تلقى عَلَى قارعة الطريق . ومنها ايضاً ما هو واجب اجراؤه في المحال المكشوفة كالاحتجاج عَلَى عمل ما يخالف القانون صدر من الحكومة او من شركة ما ولما كان هذا شاملاً لجميع الاهلين غالباً فبالضرورة يجتمعون في الساحات والعراص على الاكثر . فلهذا السبب اصاغ واضع القانون كلا النوعين من الاجتماعات .

واستثنى منها ما يقع في المحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان المعظم ومن مجلس المبعوثان والاعيان اثناء انعقاد المجلس العمومي مسافة ثلاثة كيلو مترات اعني ثلاثة آلاف متر .

كذلك قيل في المتن (سراي السلطان) والقصد من هذه الجملة سرايه في استانبول لا القصور العامة في المحفات . لان كلمة (همايون الملصقة بسراي في الاصل الغرکي اي سراي همايون) تفيد التخصيص بسرايه الخاص .

اعرف والياً عمن ظلمهم الحظ واجلسهم عَلَى عرش الولاية اراد منع احتجاج عَلَى عمله وذهب لتفسير (سراي همايون) بدار الحكومة . وبعد اللتيا والتي اقتنعناه بحقيقة المسألة

قيل في المتن ايضاً (اثناء انعقاد المجلس العمومي) ومعنى هذا ايضاً اذا لم يكن

المجلس العمومي اي مجلس المبعوثين والاعيان منعقدين فالاجتماع جائز بالقرب منهما ولو بمسافة اقل من ثلاثة كيلو مترات .

وهكذا يستفاد من كلمة (المحال المكشوفة) بان الاجتماعات التي تقع في المحال المغلقة في القرب من السراي السلطاني ومن المجلس ولو كانا منعقدين فهي غير ممنوعة ايضاً

ثم قيل في اول المتن (تنويعة) وقد مر معنى المنع القانوني في شرح المادة السابقة فالاجتماع الممنوع اذاً (١) هو الذي يقع في المحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان مسافة ثلاثة آلاف متر (٢) التي تقع في المحلات القريبة من مجلس الاعيان والمبعوثين على مسافة ثلاثة كيلو مترات اثناء انعقاد المجلس العمومي . اما الاجتماعات التي تكون في محال مستورة فهي جائزة ولو كانت على مقربة من سراي السلطان والمجلسين المادة السابعة — . لا يسوغ الاجتماع في الطرق العامة المعدة للمرور والعبور . واما زمان الاجتماع فهو من طلوع الشمس الى غروبها في الاماكن المكشوفة .

ايضاح — . شرع الاجتماع ونظر اليه من قبل علماء فن تدبير المملكة بنظر حق طبيعي لانه مؤد الى نفع عام وخاص . اما اذا وقع في الطرق العامة فمن المحقق انه يعطل المارين والعابرين ويعوق سير التجارة ويخل بحرية ارباب الصنائع وسائر المسالك الاخرى . ولما كان درء المفسدة اولى من جلب المنفعة وفقاً لمادة الثلاثين من قانوننا العام اي محلة الاحكام منع هذا الاجتماع الذي يقع في الطرق العامة . لكي لا تكون جلبنا ضرراً محسوساً لجلب نفع موهوم .

هذا هو سبب الفقرة الاولى الاوارية من هذه المادة .

واما الفقرة الثانية فهي تبين وقت الاجتماع . فكما ان الاجتماع يقع في المحال المكشوفة والمستورة فهو محتمل الوقوع في الليل والنهار ايضاً . زمان الاجتماع في المحال المكشوفة من طلوع الشمس حتى مغربها . واما في المستورة فيجوز دوامه ليلاً ايضاً كما انه يسوغ عقده في منتصف الليل او في اوله او آخره . لان المحافظة هناك سهلة جداً . لا سيما والمحال المغلقة هي اما قاعة خاصة دار تمثيل او قهوة كبرى . وهذه الايضاحات مستنبطة من مفهوم المخالفة لقيود هذه المادة والتي قبلها .

المادة الثامنة — . يدار الاجتماع من هيئة مركبة على الاقل من ثلاثة اشخاص . وعلى هذه الهيئة الاعتناء بمحافظة الانتظام ومنع ما يخالف القانون والاهتمام بعدم الخروج عن موضوع البيان وعدم ايراد الخطب المخلة بالامن العام والآداب العامة وعدم

التفوه باقوال تكون من قبيل التشويق لايقاع الجرائم . وان لم تعين هذه الهيئة من قبل ممثلي البيان فيجب انتخابها من المجتمعين . واذا وقع فعل يخالف المادة السابعة وهذه المادة فالتبعة توجه عَلَى هيئة الادارة وقبل تأليفها فالتبعة عَلَى ممثلي البيان .

ايضاح — . يجب ان يكون الثلاثة الاشخاص الذين يؤلفون الهيئة الادارة حائزين عَلَى الشروط الثلاثة المدرجة في المادة الثانية من هذا القانون . لانه لا فرق بين هيئة الادارة وممثلي البيان ابداً . لا سيما وهو مجاز لحكومة توجيه تبعة الاجتماعات عَلَى ممثلي البيان كما هو مذكور في متن هذه المادة .

هيئة الادارة مكلفة بواجبات ستة واليك بيانها بمثال :

اولاً — المحافظة على الانتظام : لان النشت يضيع الفائدة المنتظرة من الاجتماع وهي مثل تعارض الخطباء والصراخ وكل ما يخل بالسكون المطلوب . الاجتماع المنتظم هو الذي يخطب به الخطيب والناس تسمع له والذي لا يتكلم به احد سوى الخطيب . فاذا عارض الخطباء بعضهم وظهر لكل واحد منهم حزب يؤيده فهناك يعد الانتظام مختلا يحتاج لمداخلة هيئة الادارة .

ثانياً — منع ما يخالف القانون : اذا ترك احد ارضه الاميرية ثلاث سنين متوالية معطلة تعد محلولة ويؤخذ من صاحبها الاصلي (بدل المثل) عنها وان لم يدفع هذا فتؤخذ منه وتباع بالمزاد من غيره . هذا مؤيد في المادة (٦٨) من قانون الاراضي . فلو اراد خطيب يخطب بعكس هذا لما جاز له ويجب هنا ايضاً مداخلة هيئة الاجتماع الادارية ويجب عليها منعه . وهكذا جميع القوانين بلا استثناء . اما من رأى اعوجاجا في القوانين فعليه ان ينبه مرجعها بلائحة خاصة او بواسطة الجرائد وهذا مشروط بأن يكون تصديق القانون التصديق الرسمي .

ثالثاً — عدم الخروج عن موضوع البيان : مثلاً لو قيل في البيان بأن هذا الاجتماع هو لاجل الاحتجاج على حكومة اليونان فقط فلا يجب الخروج عن ذلك ويجب المنع ان حصل احتجاج عَلَى حكومة الجبل الاسود لان البيان كان عبارة عن الاحتجاج عَلَى اليونان لا غير . وقس عليه البواقي .

رابعاً — الامن العام : غني عن الايضاح

خامساً — الآداب العامة : لو اراد الخطيب استعمال البيرا او احدى المشروبات الاخرى اثناء خطابه فيمنع من ذلك . لان آدابنا الاسلامية تحظر علينا التهتك بالمسكرات .

وهنا ايضاً يجب على الهيئة الادارية ان تتدخل بالامر .

وهذا الامر يشمل الغير المسلمين ايضاً . نعم يسوغ لهم استعمال المشروبات المسكرة ولكن في اماكن خاصة لاعلناً لان الآداب العامة الوطنية (وهي اسلامية بالنظر الاكثرية) لا تجيز ذلك بينة والقصد من الآداب العامة مراعاة العواطف لا غير . ومعلوم يجوز لغير المسلمين عقلاً ومنطقاً جرح عواطف اخوانهم المسلمين اكثرية المملكة باستعمال المشروبات علناً ؟ كلا . اذن يجب منع الخطيب الغير المسلم ايضاً ان اراد استعمال البيرا او الكونياك على منبر الخطابة العلني . وهم يحاولون هذا تقليداً للاوربيين . اما آدابنا فلا نستطيع ان نهضم هذا بوجه من الوجوه . ولذلك منع واضع القانون هذا وامثاله وبهذه الصورة حفظ الآداب العامة من طروء الخلل عليها :

وهذا لايحجز حرية الفرد لان الانسان حر في بيته يفعل ما يشاء ويشرب ما يشاء . سادساً — عدم التفوه بأقوال تثوق الى ارتكاب الجرائم : وهذا ايضاً غني عن الايضاح . هذه الامور الستة واجبات الادارة يجب الانتباه لها واذا حصل تهاون بها فالجزاء محقق بموجب المادة العاشرة من هذا القانون .

قد يمكن ان لايبين الشخصان اللذان يمضيان البيان اسماء هيئة الادارة لاسباب عديدة . فاذا ما وقع مثل هذا الحال . وجب على المجتمعين انتخاب ثلاثة اشخاص من بينهم قبل كل شيء وتعريف الحكومة عنهم واذا لم ينتخب احد فهيئة الادارة فتوجه التبعة على ممضي البيان والجزاء يكون بموجب المادة العاشرة .

المادة التاسعة — . يرسل من قبل الحكومة الى محل الاجتماع مأمور ملكي او عدلي ولهذا المأمور ان يوجد في المحل الذي يعده مناسباً . وله ان يفسخ الاجتماع اذا طلبت هيئة الادارة ذلك او وقعت منازعة ومجادلة تخل بالضبط والربط

واذا طلبت هيئة الادارة فله ان يأمر البوليس والجندرمة فسخ الاجتماع .

قيل في المتن (منازعة ومجادلة) وهذان قسمان قولي وفعلي . فان كانت قولية فلا يسوغ له المداخلة بدون طلب من هيئة الادارة واذا حصل ما يخالف القانون فتوجه التبعة على هيئة الادارة والفاعلين . اما اذا كانت المنازعات والمجادلات فعلية فله ان يتدخل من نفسه ويفسخ الاجتماع . وهذا مستنبط من قول القانون (منازعة ومجادلة تخل

بالضبط والربط) والاخلال بالضبط والربط لا يكون بالقول مطلقاً .

اما اذا اتى احد المجتمعين بشيء بغير الآداب او تكلم بكلام يخل بالامن فعلى الهيئة الادارية ان تراجع المأمور الخاص وهو يمنع هذا الرجل من عمله وكلامه وينظم ضبطاً ويودعه العدلية لاجل مجازاته بموجب المادة العاشرة . وان لم تراجع الهيئة الادارية المأمور فتكون الهيئة مسؤولة ايضاً . وان عدم امن المأمور خاطره ولم ينظم ضبطاً بها فيجازى هو ايضاً بقطع راتب شهر جزاء تهاونه . وفقاً لقانون الجزاء لا لهذا القانون .

المادة العاشرة — يجازى من يخالف احكام هذا القانون بالحبس من ٢٤ ساعة الى اسبوع او بالتغريم بجزاء نقدي من ٢٠ غرشاً الى ليرة . بشرط ان لا تخل احكام القوانين الاخرى بحق من يأتون بالجرائم الاخرى

ايضاح — لو ضرب احد آخر اثناء الاجتماع فيجازى جزاء الضرب العادي المدرج في قانون الجزاء ولا يكتفى بهذا الجزاء الجزئي المحرر في هذه المادة . وهذا الجزاء خاص بمن يخالف هذا القانون المؤلف من احدى عشرة مادة فقط فلو صرح مثلاً احد المجتمعين اثناء الاجتماع يجازى بهذا الجزاء لانه اخل بانتظام الاجتماع . والحاصل ان هذا القانون لا يعارض قانون الجزاء العام بتاتاً

المادة الحادية عشرة — ناظرا الداخلية والعدلية مأموران باجراء هذا القانون . في ٢٠ جمادى الاولى ٣٢٧ و ٢٧ ايار ٣٢٥ .

ايضاح — الداخلية والعدلية ابداً كحفظ الصحة والطب . فكما انه قبل المرض تراعى قواعد حفظ الصحة ولا يراجع الطبيب الا بعد وقوع المرض فمأمور الداخلية والبوليس والجندرمة يتخذ كل انواع الاحتياط ويتخذ جميع التدابير لاجل منع كل عمل يخالف هذا القانون . واما ان حصل خلاف فهناك تبتدئ وظيفة مأموري العدلية . اي وظيفة العدلية تبدأ حيث تنتهي وظيفة رجال الداخلية .

هذا هو قانون الاجتماع مشروحاً وشرحاً وقد استندت في شرحي له على اربع مسائل [١] اقوال علماء أصول الادارة المحكية [٢] وعلى دلالة القوانين الاخرى [٣] وعلى الاوامر الصادرة من المراجع العليا [٤] اقوال علماء اصول الفقه والمنطق . واشرت الى ذلك فيما رأيت لذلك داعياً ؟

وبعد ترجمة المتن وشرحه كما ترى الحاجة ماسة لبيان اقوال علماء فن تدبير المملكة يحتاج الانسجامات على طريق الايجاز الزائد ليكون الدستور على بصيرة تامة وإليك البيان:

يقول العلماء لهذه الاجتماعات الاجتماعات العامة Béunion publique ويقسمونها الى اقسام عديدة: (١) اجتماع شامل (٢) واجتماع خاص (٣) دنيوي (٤) ديني (٥) مشروع (٦) غير مشروع (٧) مهيأ Organisée (٨) غير مهيأ ومشوش Attroupenent . ونبحث الآن في تعريف كل قسم من هذه الاقسام على وجه الايجاز .

الاجتماع الشامل — . الذي يسوغ لكل الناس الاشتراك به سواء كان باجرة او مجاناً مثل الاشتراك لاجل سماع المحاضرات العلمية والسياسية والصناعية

الاجتماع الخاص — . الذي لا يسوغ الاشتراك به لغير المدعوين مثل الضيافات بانواعها . وهذه حرة عندنا بدون قيد وشرط .

الاجتماع الدنيوي — هذا يكون لمقاصد عديدة تارة سياسية واخرى اقتصادية ومرة علمية وثانية تجارية .

الاجتماع الديني — . هو من قبيل الاجتماع بالجوامع والكنائس . لاقامة الشعائر واستماع النصائح . وهذه الاجتماعات ايضاً غير تابعة بصور وشروط قانونية

الاجتماع المشروع — ما كان موافقاً للقوانين . واما الغير المشروع الغير الموافق للقوانين الاخرى

الاجتماع المهيأ — . الذي يكون مبنياً على نية معلومة وقصد محدود معين

الاجتماع المشوش — هو الذي يكون من قبيل التصادف اوالتشويق الوقتي .

فقانون الاجتماع الذي ترجمته وشرحته بهذا العدد من مقتبسنا يبحث عن الاجتماعات الشاملة والدنيوية والمشروعة والغير المشروعة والمرتبة . ولم يتدخل قط في الاجتماعات الخاصة والدينية والمشوشة قطعياً . ولا بد ان تنتبه الحكومة لهذه الاقسام الثلاثة الاخيرة وتضع لها قوانين تبحث عنها أسوة بجميع الدول المتمدنة ووقاية لحال الامة من تشويقات المشوقين الضالين المضلين ومن سوء تفسير رجال الادارة صيغة الحظ والاتفاق . فان تسعة اعشار تذبذبنا الاداري ناشئ لعمر الحق من هؤلاء الضالين ارباب النفوذ ومن جهالة من يقال لهم آمرون

بيروت حسني عبد الهادي

اخبار وافكار

الاسفنج

لا يعرف العلماء حتى الآن فيما اذا كان الاسفنج بعد من الحيوان مع انه ايضاً مشترك مع النبات كما لا يعرفون كيف يتغذى فهو يتناول غذاءه من مناقذه ولكن ما هي ماهية هذا الغذاء الموزع على نصاب العدل وهذا من المجهولات ايضاً .

وان الاسفنجة المعتدلة لتبلغ ١٨ سنتمتراً في اربع سنين واهم مصايد الاسفنج في سورية وبحر الادرياتيك وعلى شواطئ تونس . وقد اخذت اميركا ولا سيما شواطئ فلوريدا تخرج الاسفنج منذ مدة ايضاً ويجيء هذا الصنف من كوبا وجزائر باهاما . ويستخرج الاسفنج على صور مختلفة واكثرها استعمالاً ما يغوصون عليه في اعماق تختلف من ١٠ الى ١٠ متراً فيترعون هذا الحيوان من الصخر الذي علق فيه ومنهم من يستعملون اجراس الغواصة فيتراكض كلاب البحر فلا يتقيها القائص الا بان يتماوت فتكشف عنه لان كلب البحر لا يقترب من الجثث الهامدة . وقد عنى الدكتور مور بزراعة الاسفنج بدون ساق وهو ابقى من غيره من الانواع وطريقته ان يقطع الحيوان قطعاً قدر كل واحدة خمسة سنتمترات مربعة ويركزها الى اوتاد مغموسة بماء البحر فتكبر هذه القطع ويصبح وزنها خمسة وعشرين ضعفاً عما كانت عليه وذلك في خلال ثمانية عشر شهراً .

العصر الحجري

لم تدثر اجناس البشر التي كانت معروفة في العصر الحجري الغربي في القدم فان قبائل اواسط اوستراليا تمثل آخر بقاياه . فقد باد قدماء التاسمانيين الذين كانوا فرعاً من تلك القبائل ولم يتحقق اصل قرصان اندمان (ارخبيل في خليج بنغالا) واحتفظ اهل اوستراليا بسحناتهم وصفاتهم وهم قوم رحل مختلفة لهجاتهم بعيدون عن كل مدنية احط خلق الله في المعارف وصحة الاجسام يتزوجون رمالاً لا ينبت فيها غير العوسج يعيش رجالهم بالصيد بالحراب والنساء يقلعن جذوعاً ويجتثن عن الديدان يتغذين بها . وكلهم من اكلة البشر لا يعرفون الثياب يستترون عوراتهم بزنار بسيط واذا اكلوا انسانا من البيض الضالين في اصقاعهم يأخذون قمحته يجعلونها على رؤوسهم واحذيته وجوارب في ارجلهم علامة على الكبرياء والعظمة . ومساكنهم عبارة عن اكواخ من الاغصان

لا يعرفون المعادن الا منذ زارهم بعض ارباب الرحلات وليس لهم آنية في مساكنهم ولا يحسبون الا على اصابعهم الى الصف الاول من الاعداد لا يتعدونها الى اكثر ولكنهم ماهرون في رسم بعض الصور على الحجارة وفي تزيين اتراسهم بيد ان حذقهم في هذه الصناعة احط من حذق اهل عصر الوعل في اوربا الغربية . ويقول العالم الاخصائي في احوالهم ان سكان اوستراليا الوسطى الاصليين جاؤا من اختلاط بين زنوج بابوان وجنس من الخلق ارقى من الجنس القوقازي امتزج الجنسان معاً منذ الزمن الاطول ايام كانت استراليا جزءاً من قارة آسيا

السمك الاحمر

كان الغربيون يتسلون بتربية السمك الاحمر كما نتسلى به في سورية بجعله في بواطي وزجاجات وتغيير مائه اليوم بعد اليوم وقد عدلوا لعهدنا عن تربيته ولم تبق الا جزيرة صقلية تألف تربيته فيجعلون فيها غدراناً مساحتها مئة متر مربع تفصل الواحدة عن اختها حواجز وسدود تفصلها بعضها عن بعض قليلاً وهي قليلة العمق يجعلون ماء الاحواض على حرارة ٥٠ درجة ولا يفتأون يغيرون عنها الماء ويلونونها بان يضعوا في الماء شيئاً من الحديد والعطان (قشر البلوط المحوق للدبغ) والعفص وطعامها من الهوام والدم المجمد وبقايا اللحوم والشعير به تنمو وتتكاثر ويكثرون في تلك الاحواض من الذكور اكثر من الاناث . ويقال ان السمك الاحمر قد يستغني عن الغذاء شهراً كاملاً

صناعة الفنادق

سبقت سويسرا غيرها من بلاد الغرب والشرق بان كانت افضل البلاد بفنادقها ونزلها التي تجلب السياح اليها بمئات الالوف كل سنة وتربح منهم الارباح الطائلة وليس في هذا الشرق العربي اليوم من يحذو حذوها من البلاد غير جبل لبنان فاذا تم له ما ينبغي من دواعي الاصلاح وتوفرت في فنادقه وقصوره اسباب الراحة مع الاقتصاد وعدم الاشتطاط في الطلب وامتدت فيه كل الطرق المعبدة وعشرات من كيلومترات الخطوط الحديدية ايضاً يصبح في آسيا بمثابة سويسرا في اوربا . وان بلد الفنادق اي سويسرا بل الفندق الاكبر في الغرب لم يصل الى ما وصل اليه الا بفضل العلم والمدارس وربما يعجب ابن الشرق اذا قلنا له ان صناعة الفنادق يتعلمونها هناك في المدارس تعليماً نظرياً وعملياً ولذلك سبقوا غيرهم من سائر امم اوربا الذين لهم من بلادهم ايضاً ارض

طيبة ومناظر جميلة ولكن ليس لهم استعداد السويسريين في جلب قلوب السائحين ولا يكتفي اليوم في النزل ان يعرف صاحب الفندق تقديم الطعام الجيد الطبخ بواسطة طهاته ولا ان يحسن اللقاء والتشييع ويبش في وجه نزيله بل عليه أمور اخرى كثيرة تستدعيها المدنية ولا يتعلمها الا من دخل مدارس سويسرا او لاسيما مدرسة لوزان الفندقية . فما احرى احد ارباب الفنادق في سورية ان يبعث باحد اولاده يتعلمون فيها ليطرّس غيره على آثاره وتغنم البلاد فوائد كلية من دنانير السائحات والسائحين

سجون النساء

نادت ليزابت فري في اوائل القرن الماضي باصلاح سجون النساء فلم يتيسر في اميركا اجابة طلبها الا في العهد الاخير فأنشأت بعض الولايات المتحدة الشرقية سجوناً تنفذ اليها الشمس مضاءة نقية طاهرة مستوفاة من حيث الصحة وجعلوا القائمات على السجينات من النساء يعتنين بامرهن كل العناية ويتحببن اليهن اذ رأت اميركا ان السجن وحده كاف في اصلاح النفوس فلا ينبغي ارهاق المسجون بل تعليمه بالقدوة والمطالعة ولذلك ترى العناية بصحتهن الادبية وصحتهن الجسمية بالغة حدها من النيقة فيجتمع السجينات في اوقات الراحة في مكتبة حوت انفع الكتب لمن يطالعن ومما يصرفن فيه اوقاتهن زراعة البقول وغيرها فلا يخرجن من السجن الا وقد تطهرت نفوسهن بالمطالعات وتعلمن تربية البقول والازهار وبذلك تم للحكومة ما أرادت من انتشار صناعة الحدائق بفضل جودة التربة والتربية في تلك الولايات . فمتى يكون في هذا الشرق القريب سجون كهذه للرجال والنساء

الكليات الروسية

تقول احدى المجلات في روسيا ان حالة كلياتها اليوم اشبه بساحة وغى غداة القتال والنزال فان سيطرة الاساتذة ان لم تكن زالت فقد تضعضعت كثيراً والخلل مستحكم في صفوف الطلبة لان للسياسة منذ زمن مقاماً عظيماً في حياة الكليات مما هو مضر بالغاية المطلوبة من هذه المعاهد . ومن العجب ان تساعد الكليات على نمو هذه الافكار واذ قد ضعفت سياسة التطرف في هاتيك المدارس اخذت الحكومة تدخل فيها سياسة حزب اليمين وذلك بانشاء جمعيات تكوّن بحجة جمع شتات الطلبة آلة لبث الدعوة الارتجاعية اي العودة الى سياسة الحكم المطلق فالواجب العدول عن الاعتصابات لانها لم تثمر ثمرة ما لتلك البيوت العلمية ولطالما اضرت بمن يأتيها والحكومة تعمد اليها للتخلص

من الاساتذة والتلامذة الذين عرفوا باستقلال الارادة والفكر . والخلاصة فان روصيا تنحو بكليتها من حيث الفكر السياسي نحو تقديس الحكومة المطلقة والمانيا تنحو بكليتها نحو تقديس الحكم المقيد تحت رعاية الامبراطور وشتان بين الامبراطوريين والامبراطوريتين .

الزحافات ذات العرف

كان علماء المحفوريات (Les paléontologistes) يدعون بان اعظم الزحافات ذات العرف في ولاية واكوتا وغيرها من الولايات المجاورة في اميركا الشمالية ولكن البحث في محفوريات افريقية النباتية وغير ذلك ابان نقيض هذا الزعم . فقد اكتشفت في الطبقات الجيولوجية في جنوبي افريقية من سهل كارو العظيم في مستعمرة الرأس محفوريات لما شبه عظيم بآثار الزحافات الاميركية الاولى وأيد احد اساتذة المانيا هذا القول وقال ان في افريقية الشرقية الالمانية جبلاً اخرجت من صدره بقايا حيوانات تشبه عظمه . وكان كارنجي المثري الاميركي اهدى متحف برلين حيواناً سموه ديبلودوكوس زعم انه اكبر زحاف في الارض ولكن تبين ان في المستعمرة الالمانية الافريقية ما هو اضخم منه جثة يبلغ طوله مترين و٤٥ سنتمتراً عدا حين لا يبلغ طول حيوان كارنجي اكثر من متر و ٨٢ سنتمتراً وطول اعظم فقرة من عظمه من ناحية عنقه ٦٢ سنتمتراً في حين ان مثلها في الحيوان الافريقي متر و ١٨ سنتمتراً وعظم العضد في الاول ٩٢ سنتمتراً وعظم العضد في الثاني يتجاوز المترين ورأس الزحاف الافريقي صغير بالنسبه لحجم جسمه

الهجرة الايطالية

لم يهاجر منذ سنة ١٨٦٦ الى ١٩٠٨ اقل من ٥٨١٣٤٦٠ مهاجراً ايطالياً اي مايعادل مجموع سكان الجمهورية الفضية او سكان الجزائر وقد كان المهاجرون عرضة لتلاعب اللصوص والمحتالين عندما يغادرون بلادهم فيتلاعب المتلاعبون بعقولهم واكثرهم من ضعاف العقول بالطبع فانتبهت الحكومة الايطالية والشعب الايطالي للامر وألفت جمعيات كثيرة في امهات مدن اميركا الشمالية والجنوبية لاستقبال مهاجري الطليان والسير بهم في الطرق الموصلة القريبة الى احتياز المال والعيش الحفضال ومكذا تم لهم ذلك . وللسور بين على ضعفهم في تلك الاصقاع جمعيات من هذا القبيل وكانت ضئيلة ولكنها تخدم الهجرة والمهاجرة .

السرطان البحري

لما كان السرطان البحري في اميركا اكبر من السرطان الاوربي مرتين اصبح الطلب عليه كثيراً والرغبة فيه ولا سيما للتقديد اكثر مما يصاد منه . وقد عمدت اميركا الى تنميته بالطرق الصناعية الكثيرة فلم تفلح وقضت بان يكف عن صيده ولو بضع سنين فلم يسمع لها خصوصاً وان كثيراً من الاسماك الكبرى تسطو عليه عند ما يكبر واذا كان صغيراً فأبناء نوعه يأكلونه ولو لم يكن قليل الامراض لفني منذ زمن طويل . وكان هذا النوع في اميركا ضعفي ماهو عليه اليوم وزن الواحدة منه من خمسة الى ستة كيلو تباع بالواحدة اما اليوم فيباع بالوزن . ونوعه يقل كما يقل عندنا السمك البحري والبري لان الصيادين يصيدونه في الغالب بوضع قذائف من الديناميت لقتل كباره وصغاره والحكومة تمنع ذلك ولكن منعها حبر على ورق

الاقتصاد في الوقت

من اعظم ما يشكو منه ارباب الصحف كثرة مايرد عليهم من المقالات الثافهة والعبارات الساقطة لا يعرف ذلك الا من يعانيه ولذلك كثيراً ما يضطرهم الوقت الى عدم اتمام قراءة ما يعرض عليهم فيدركون ضعفه لاول وهلة فيوقفون بذلك اوقاتهم . وقد شعر ارباب المطابع والمجلات والجرائد في اميركا بهذا الامر فأصبحوا اذا القيت الى احد الطابعين رواية ليراها هل تصلح ام لا ينظرون الى اسم مؤلفها فان كان ممن له شيء من الشهرة تدفع قصته الى من يقرأها وتكاف قراءة قصة مؤلفة من مئة الف كلمة خمس ليرات فاذا جرى في كل قصة تأتيه على هذا النحو يخسر كثيراً لان قيمة الساعة التي يصرفها قارئ القصص في ادارته نصف ريال فاذا كانت القصة من قلم من يجدر ان يقرأ كتابه تدفع الى امين سر المحل وساعته تساوي اثني عشر فرنكاً فتأمل

الحمامات

عادة الاستحمام قديمة جداً ورد ذكرها في اساطير الاقدمين ويقال ان البطل هركول اليوناني استمتع بما استمتع به من القوة والفضلات المفتولة لاعتياده الاستحمام بالمياه فاشتهرت حماماته ودعي كثير منها باسمه، وكذلك ديان وايزون المشهورتين في الاساطير اليونانية فانهما حفظا صحتهما بل جعلت لهما بالمياه قوة زادت عن القوة المعتادة عشرة اضعاف . ولقد كان القدماء يعتبرون الماء البارد دواء ينفع في كل الادواء ذكرت ذلك التوراة واشارت اليه في مواطن كثيرة . وكان للعبرانيين حمامات منذ العهد الاقدم وهي ولا

جرم ضرورية لهم لحرارة الجو في البلاد التي نزلوها وقد فرض موسى الاستحمام ولاسيما على النساء وكان المصريون يرون الاستحمام من الواجب وكذلك الاشوريون على ما تراه الى اليوم فيما أخرج من آثار بلادهم من بقايا الحمامات وجميع أمم الشرق ترى الوضوء فرضاً دينياً ومنها ديانة مانى وزردشت والاسلام . وكانت الحمامات في يونان على اختلاف انواعها بحرية او نهرية عامة للكل يستحم فيها من يريد والرشاش من الامور العادية في يونان وكان لرومية حمامات فاخرة فيها انواع الراحة من حجر للتعريق واخرى للتمسيد وغيرها للتبريد واخرى للدلك والتغميز . وكانت هذه الحمامات ولا سيما حمامات اغريبا وديوكلسين وكاراكالا تنفع جد النفع وكثير من الرومانيين والرومانيات كانوا يستحمون في نهري التبر وكاتون وكثيراً ما كان حكام رومية Les Censeurs يطلقون السنتهم في انكار اختلاط الرجال بالنساء وكان في القرون الوسطى في الغرب حمامات على اختلاف انواعها وفي القرون الحديثة أدخلت عليها تعديلات جسيمة هذا ما نالته احدى الصحف الافرنجية اما حمامات الشرق فقد اشتهرت شهرة فائقة ومن احسنها اليوم حمامات دمشق فيما نحسب وان كانت تحتاج لشيء من مراعاة قواعد الصحة كأن يرجع اربابها عن استعمال المغطس يغوص فيه مئات كل يوم وفي بعضهم من الامراض الجلدية وغيرها ما تمكن سرايته وتغسل المناشف كل مرة فلا يعطى لزيد ما نشف به بدن عمرو ففي ذلك من الضرر ما لا يخفى على لبيب محله فقد صار من المثل عندهم ان الشيء الفلاني مبذول كفوطة الحمام من بدن الى بدن

المحاضرات والمسامرات

اصبحت المحاضرات والمسامرات في الغرب من الامور الطبيعية الشائعة في مجتمعاته فالمحاضرون درجات وكذلك الحضور ومنهم المجيد ومنهم الوسط ومنهم العاطل والكل في الاغلب يصفق لهم تحسيناً ويستمع لما يقولون استحساناً اوتصبراً او تأدباً ويثنون عليهم في الجرائد . وهذا العلم يحتاج الى قابلية لدنية وطبيعة كسبية ولا يجيد فيه المجيدون الا بالتدريج والاستعداد الاجادة متوقف على معلومات منوعة وأدلة لم تعرف وتفاصيل غريبة جديدة والارتجال يصعب فيها فالواجب ان تعين لها خطة وحجج تجعل على نظام خاص . ويختلف المدخل والمخرج منها باختلاف الموضوعات والاحوال . وعلى المحاضر ان يتبين استحسان سامعيه له من النظر الى عيونهم فان رآهم فرحين عرف ان لكلامه تأثيراً فيهم . وفي فرنسا والمانيا وانكلترا وايطاليا تلقى المحاضرات بدون لاحق فلذا

تكلم المتكلم سمع السامع اما في اليابان فان التايرجملت على صورة يشخص فيها المحاضر محاضرته او مسامرته تشخيصا يلذ سامعيه ويضحكهم كأن تجعل نافذة تحت رجله فتفتح وتبتلعه فيختفي عن الانظار ويأخذ الحضور يقهقهون وفي افريقية الوسطى يتبع الخطيب خطابه بحركات متتابعة ويقف على ساق واحدة ويده اليمنى مسندة الى ركبته المنحنية واليسرى فوق رأسه وهذا من ادوات الاقناع والتأثير في ذهن السامعين من الزنوج وحالة الحضور اضحك لما فيها من التصفيق واشارة اليدين وفتحة الافواه والاشداق

اصلاح اجتماعي

التأم في مدينة الله آباد من مدن الهند مؤتمر مثل فيه كثير من اعضاء الجمعيات الراقية الهندية فقرر المؤتمر ابطال زواج الاولاد لان الصبيان كثيراً ما يخطبون بعض اقاربهم وهم بين الثانية عشرة والرابعة عشرة فلا يلبثون ان يتزوجوا منهن فتجيء ذراريهم ضعيفة لا تقدر على مقاومة الطاعون ولا القحط فحدد المؤتمر سن الزواج وجعلها ١٦ للبنات و ٢٥ للرجال وقرر ايضاً ابطال الزواج الا من طبقات مخصوصة لان طبقات الهنود تعد بالمئات وكل طبقة يفرض عليها ان لا تتزوج الا من اهل طبقتها فاذا وقع تطبيق هذين القرارين جاء من الهنود نسل قوي نشيط . وفي مملكة ترانفكور وهي من الممالك الهندية المستقلة يقضي ان لا تكون سن الزوج اقل ثماني عشرة وسن الزوجة ست عشرة .

عمر العلم

قالت احدى المجلات الايطالية ان الحكومات تشابهت منذ اربعين سنة فاذا ما نظرنا الى التعليم العالي في الأمم على اختلاف قاراتهم نراه ينبعث من ٢١٨ مدرسة كلية و ١٨٩ مجمعاً علمياً جامعاً و ٤٣٤ مجمعاً علمياً غير جامع و ٣٩ مجمعاً علمياً (اكاديميا) و ١٣٦٣ جمعية علمية منتشرة في الاصقاع المختلفة ومنها اوستراليا وآسيا التي تهب من سباتها وافريقية التي تنفض من قبور الظلمات . ولكي ندبر سرعة هذه الحركة يجب علينا ان نعتبر بان المانيا قد ارتقى عدد اساتذتها في المدارس العليا من سنة ١٨٨٧ الى ١٩٠٨ من ٢٠٩٥ استاذاً الى ٣٢٤٧ والنمسا من سنة ١٨٨٥ — ١٩٠٧ من ٨٠٨ الى ١٣٠٨ وسائر البلاد تحذو هذا الحذو في ارتقائها وكذلك الحال في زيادة عدد المتعلمين وربما نما اكثر من عدد المعلمين فقد كان لفرنسا مثلاً سنة ١٩٠٧ — ٧٨١ طالبة في الآداب والفلسفة

من الفرنسويات و ٨٠٦ من الاجنبيات اما سائر الفروع فقد كان دارسوها في فرنسا ٣٦٠ طالبة منهن ١٦٦٦ من الفرنسيس والباقيات اجنبيات وكان لالمانيا في سنة ١٩٠٨ ٤٥٣ طالبة المانية و ٦٧ اجنبية في الفلسفة ومجموع الطالبات في الفروع الاخرى ١١٣٢ منهن ٥٩ غير المانيات ولهولاندة ٥٠٦ طلبة ولرومانيا ٤٤٠ وهكذا كثر الميل الى التعليم العالي اكثر من زيادة عدد السكان

الاستعمار الالماني

الى احد اساتذة كلية مونيخ ومدير المدرسة التجارية العالية خطاباً في السياسة الاستعمارية الالمانية قال فيه : ان المانيا دخلت ميدان الاستعمار منذ خمس وعشرين سنة في زمن تزايدت فيه الهجرة من بلادها ايام هاجر ٥٤٠ الفاً بين سني ١٨٨٠ — ١٨٨٣ و ٨٧٠ الفاً بين سني ١٨٨١ — ١٨٨٥ وكان قد مضى نصف قرن على المانيا وابناؤها ينتشرون في الارض . وادعى دعاة الاستعمار انهم كانوا يستخدمون الهجرة بتحويل وجهة المهاجرين نحو البلاد التي يحقق عليها العلم الالماني . فقد ربحت المانيا من سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ الى سنة ١٩١٠ مليونين ونصف مليون كيلو متر مربع كان فيها سنة ١٩١٠ — ٢٠٠٧٤ رجلاً من البيض يدخل فيهم الجند ورجال الشرطة وهم ١٣٦٦٢ رجلاً و ٣٣٣٧ امرأة و ٣٠٧٥ ولداً فاذا اخرج منهم الاجانب بقي من هذا العدد ١٦٠٠٠ الماني فقط . وليس للالمان اليوم حاجة للاراضي الجديدة يتزلها الفائض من بنيهم كما كانوا قبل خمس وعشرين سنة فقد زاد عدد سكان المانيا من ٤٥ مليوناً سنة ١٨٨٢ الى ٦٥ مليوناً سنة ١٩١٠ وكان يبلغ معدل المهاجرين مساوية ١٧١ الفاً سنة ١٨٨١ — ١٨٨٥ فلم يتجاوز معدله سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٩ اكثر من ٢٦٨٩٣ ويستدل على ان الالماني يجد ما يعمل اليوم في بلاده وان عدد العملة قد زاد في ربع قرن من اربعة ملايين الى ثمانية ملايين وسدس وعدد عملة التجارة من ٧٠٠ الف الى مليون وتسعمائة الف وكان عدد الاجانب في المانيا في اواخر القرن التاسع عشر ٤٨٤٤٢٣ فاصبح ١٠٠٧١٧٩ سنة ١٩٠٥

ومناجم فستفاليا والاعمال الزراعية الكبرى واعمال البناء كلها تحتاج الى عاملين في المانيا فيجيئها العملة من النمسا ومن روسيا بحيث بلغ عدد العملة فيها من غير ابنائها ٥٨٥٠٠٠ في سنة واحدة . والمانيا تستخرج من مستعمراتها المواد الاولى اللازمة لها في صناعتها التي يعمل في صناعة القطن وحدها ثلثمائة الف من الالمان ومع هذا فان

ماتصدره مستعمراتها اليها بلغ في السنة الماضية ٧٠ مليون مارك اي واحداً في المئه من مجموع الواردات الالمانية فلا تصدر مستعمراتها مثلاً اكثر من ٨٠٠ الف مارك من القطن في حين يساوي قطنها اللازم لها ٥٣٢ مليوناً وليست المستعمرات الالمانية كلها صالحة الآن لسكنى البيض فاذا حذفنا مستعمرات المانيا في الجنوب الغربي من افريقية بلغت مساحة مستعمراتها ١،٨٠٠،٠٠٠ مليون مربع منها ٥٦٦١ فقط يعمل فيها ٧٠ الف زنجي ويشارك الاوربيون في استعمارها واستثمارها وسكان مستعمرات المانيا كلهم ١٤ مليوناً يصيب كل فرد من اهلها خمسة ماركات من الصادرات في حين يصيب الفرد في جامايبك ٤٨ ماركاً وفي ترنيداد ١٧٥ ماركاً . وقد انشأ الالمان في مستعمراتهم ٢٥٢٦ كيلو متراً من الخطوط الحديدية و ١٤٦٨ كيلو متراً آخذون بانشائها . والصعوبة في مستعمرات الالمان ان العيش على البيض متعذر ولذلك تراهم يضطرون الى الزواج من بنات البلاد السود فيأتي اولادهم خلاسيين وقد يكون فيهم عيوب آبائهم هذا مع ان العامل الاوربي يقبض عمالته زهاء خمسة ماركات والعامل الوطني لاينال نصف اجرته الا بشق الانفس . وقد اساءت المانيا بسياستها العسكرية التي جرت عليها مع الزنوج فابادت الهروروس العصاة عن بكرة ابيهم ليحل محلهم البيض هذا وافريقية قليلة بسكانها وارضها محتاجة لاستخراج كنوزها الى ايد عاملة قد يتعذر جلبها من اوربا لرداءة المناخ لان اوستراليا قد جلبت من انكلترا ٧٦٠ الف انكليزي أعطوا جوائز عن عملهم اراضي يستثمرونها فكانت باعثة لهم على التوطن في البلاد . وحيثما يكثر السكان في افريقية يكتفي الاوربيون بالاتجار مع الوطنيين . والمدنية الاوربية تقرض الزنوج فقد بلغ عدد من يموت من العملة السود في الترنسفال ٢٨ في المئة نصفهم بامراض الكبد كما يهلك كثير منهم ومن غيرهم بمرض النوام الذي يحارب به الغربيون ليتغلبوا على فتكانه بادويتهم فيفيدوا الانسانية والامور الاقتصادية .

وقد تبين بالاختبار ان سياسة الاستعمار التي ترمي الى ملاحظة مصالح الوطنيين وتعنى بتكثير سوادهم هي نافعة من حيث الوطنية ورابحة من حيث المالية فالعمل الاجباري لاينتج وماقط كانت له ثمرات كالعمل الحر المطلق — انتهى عن مجلة الاقتصاد بين الفرنسوية

نتائج الحروب

نشرت مجلة ادلة الترقي مبحثاً قالت فيه ان الافكار العامة في اوربا اليوم اختلفت

كثيراً في تصور معنى الحرب والسلام عن سنة ١٨٨٠ وكثر العاملون للسلام والقائلون به والداعون اليه فانه اذا نظر الى الصلات الاقتصادية بين الامم نرى ان الحروب لا تدوم كثيراً لان الغالب يخسر كالمغلوب او اكثر . وما الباعث الرئيسي للهياج في الشعوب الاوربية الاكثيرة السكان والشدة في تحصيل الرزق فالانسان مصروف لاخيه الآخر ولذلك كان العيش في البلجيك وسويسرا اشق مما هو في جرمانيا لكثرة نفوس هذه . وما تاريخ القرون الغابرة الا فتوح طويل بطيء لاستحصال الخبز وهو الى الآن غير مضمون الحصول للناس كلهم . اننا نسكن كتلة من التراب الموحل مساحتها ١٢٦ مليون كيلو متر مربع وفيها نحو ١٥٠٠ مليون من البشر والاراضي الى عهد قريب كانت موزعة توزيعاً غير معقول على السكان . انا نسكن على هذه الارض ويسكن معنا انواع من الحيوانات وما قط رأينا ابناء الجنس الواحد منها يأكل بعضها بعضاً ويفترس احدها الآخر . وللاسراع بالانتفاع من هذه الارض في حاجاتنا وجب ان يكون الشرط الاول فيها ان يتفق جمهور العاملين من البشر . ان العقل يرشدنا الى ان جهادنا عبارة عن التغلب على المصاعب والمصائب الطبيعية لا احداث امور من مثلها طبيعية . علينا ان نحفر اقنية ونخرق جبالاً لا ان نقيم سدوداً كسدود الصين . ولذا وجب ان تزال تلك الحدود المصنعة ليعيش الناس العاملون عملاً عاماً . والاستعباد العسكري واستغراق ميزانيات الدول في الانفاق على الجيوش هما من اكبر دواعي الضعف فان المدنية الاوربية تنفق في السنة عشرين ملياراً من الفرنكات في هذه السبيل فمنذ سنة ١٨٧٠ انفق الغرب مبلغ خمسمائة مليار بلا طائل فلو أبطلت الحروب منذ اربعين سنة لاستطاع البشر كلهم ان يأكلوا كما يريدون اليوم

ايظن الظانون ان البشر يرضون بعد بان يعمل المرء ساعة كل يوم زيادة حتى يقف الملوك ورؤساء الجمهوريات يستعرضون الجيوش ايام الاعياد الوطنية فقد ادرك الناس اليوم ان الحرب ليست الا جناية وهي حماقة ورقاعة . ليس الجهاد في الحياة بين الاخ واخيه بل بين الانسان والطبيعة يذللها كما يشاء ليكون مقامنا في هذه الارض مقبولاً محموداً . وللوصول الى هذه الحياة يجب نزع فكر الحروب من العقول وذلك بوجوه كثيرة اولها تربية الاطفال واليافعين . فاذا فكر كل انسان كما يفكر كاتب هذه المقالة لتقلب الحال عما قريب . على ان العالم سائرون الآن للسلام وان كان على طريقة بطيئة فالسبيل الى ذلك ان يحدد حمل السلاح بحيث يؤول ذلك الى نزعه بالتدريج وان

يتحد المتجانسون من الشعوب اتحاداً سياسياً فيتحد سكان الغرب من اوربا اي الفرنسيس والانكليز وتتحد الممالك البلقانية وتتحد الممالك الوسطى اي النمسا والمانيا وتعقد معاهدات التحكيم بكثرة. لا جرم ان الامم اليوم يقترب بعضها من الآخر بما ينشؤن من العهود ويعقدون من الوفاقات ويجتمعون عليه من السباقات والمؤتمرات والزيارات ولكن الطريقة الناجعة في ذلك ان يكون لمحكمة لاهاي الصلحية يد اقوى في ايقاف كل امة عند حد معين من التسلح وذلك بان يقاطعها كل الامم على السواء فاذا وقع خلاف بين المانيا وفرنسا وكانت الاولى معتدية يعلن عليها الدول كلهن المقاطعة فلا تلبث ان تعود الى رشدها في ثماني واربعين ساعة على الاكثر فقد قاطع الصينيون اليابانيين والاميركانيين وقاطع العثمانيون النمسا وبين بتدبير افراد منهم فكم تكون المقاطعات الدولية عظيمة اذا صدرت عن الحكومات مباشرة

طرابلس وبرقة

يصدر هذا الجزء والحرب البرية البحرية يتلظى اوارها بين جيوش الدولة العلية ودولة ايطاليا لاعتداء هذه على طرابلس الغرب العثمانية بدون مسوغ دولي معقول وبهذه المناسبة رأينا ان ننقل للقراء شيئاً من وصف تلك البلاد وتاريخها فنقول:

طرابلس هي القسم الشرقي من بلاد البربر يحدها من الشمال البحر الرومي ومن الشرق لواء بنغازي ومصر ومن الجنوب الصحراء ومن الغرب الصحراء وتونس ومساحة طرابلس مع بنغازي ١٢٠٠،٠٠٠ كيلومتر مربع في رواية اي قدر ولاية سورية ١٣ مرة او ستة اضعاف مساحة تونس ونحو ثلاثة اضعاف ونصف مساحة ايطاليا — وسكانها زهاء مليونين وهواء السواحل منها من جهة سهول برقة وما جاورها معتدل . اما في جهة الجنوب اي في فزان فالحرارة تغلب عليها وانهارها قليلة ليست سوى جداول لان مياهها تنبخر بشدة الحرارة وتضيع في الرمال المحرقة واكثر شرب اهلها من صهاريج ملأ بماء السماء كان ذلك قديماً ولا يزال الى اليوم . وسواحلها منبتة في الجملة ولا سيما جهات برقة فانها تخرج انواع الحبوب والبقول والثمار والزعفران والفوة والحلفا البرية والتمر والبرتقال والليمون والتين والزيتون ومن سواحلها يستخرج الاسفنج والمرجان وانواع الاسماك

ويقسم هذا الصقع بحسب التقسيم الاداري الاخير الى ولاية ذات اربعة الوية ولواء مستقل وهو بنغازي فلواء طرابلس يدخل فيه تسعة اقضية وهي قضاء طرابلس

والنواحي الاربع وغريان واورفله وترهونة والزاوية وزوارة وعزيزية وجبلات ولواء خمس وهو مؤلف من خمسة اقضية وهي قضاء خمس ومصراطة وظلتين ومسلاطة وسرت ولواء الجبل الغربي وهو اربعة اقضية قصر بفرين وغدامس ونالوت وفساطو ولواء فزان وهو اربعة اقضية مرزوق وسوكنة وشاطي وغات وفي هذه الولاية عشرون ناحية تتبع الاقضية وفي لواء بنغازي اربعة اقضية وهي بنغازي ودرنة ومرج واوجلة وجابو وجدابية وعشر نواح وبنغازي في المدخل الشرقي من السرت الكبرى وحاضرة برقة وتجارتها مع خانيا ومالطة ووداسي في السودان الشرقي حسنة في الجملة وكان اسمها بيرنيس Bérénice

واشهر مدن هذا القطر اليوم طرابلس الغرب اضافوا اليها الغرب تمييزاً لها عن طرابلس الشام سميت الولاية باسمها وكانت الولاية ولا سيما قسمها الشرقي نحو بنغازي تسمى برقة قديماً ومدينة خمس على الساحل وقصر بفرين ومرزوق وغدامس وغات وبنغازي على الساحل ودرنة واوجلة وهما واحتان مشهورتان . وسكان طرابلس نحو اربعين الف نسمة وسكان بنغازي زهاء عشرين الفاً .

وبرقة كما قال ياقوت اسم صقع كبير كان يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية (تونس) واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ولها ساحل يقال له اجية وساحل آخر يقال له طلمونية وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر من الفسطاط (مصر) الى برقة مائتان وعشرون فرسخاً وهي مما افتتح صلحاً على يد عمرو بن العاص سنة ٢٣ ومن برقة الى القيروان (تونس) مائتان وخمسة عشر فرسخاً

قال المقدسي ومن مدن برقة ذات الحمام . ورمادة . اطرابلس . اجدابية . صبرة قابس . غانق . وبرقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعسال مع يسار وهي ثغر قد احاط بها جبال عامرة ذات مزارع على نصف مرحلة من البحر في هوة قد احاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحونه من امطار في جباب وهي على جادة مصر يحتون الى الغرباء اهل خير وصلاح واطرابلس مدينة كبيرة على البحر مسورة بحجارة وجبل شربهم من آبار وماء مطر كثير الفواكه والانجاص والتفاح والالبان والعسل واسمها كبير . واجدابية عامرة بنيانهم حجارة على البحر وشربهم من الامطار ومسرت كذلك ولها بواد وشعار . وصبرة في بادية وهي حصينة بها نخيل وتين شربهم من ماء المطر . وقابس اصغر من طرابلس لم واد جرار وبنيانهم من

الحجارة والآجر كثيرة النخيل والاعناب والتفاح مسورة باديتها بربر . وغافق ناحية واسعة كثيرة القرى والاسواق عَلَى ايام الجمعة بحرية ومن الناس من ينسبها الى افريقية (تونس) وذات الحمام مدينة عمرت من قريب

وكانت طرابلس من عمل تونس في القرون الاولى للاسلام ثم غلب اسمها على الكورة واصبحت بنارة قصبتها وذلك بدثور برقة وغلبة الخراب عليها وقد وصف ابن حوقل الجغرافي هذه البلاد في القرن الثالث وقد زارها فقال :

ان برقة مدينة وسطة ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية ولها كورة عامرة وغامرة وهي في بقعة فسيحة يكون مسيرتها يوماً كبيراً في مثل ذلك ويحيط بالموضع جبل من سائر جهاتها وارضها حمراء خلوقية التربة وثياب اهلها ابداً محمره يعرف اهلها بالفسطاط من بين اهل المغرب بحمرة ثيابهم وتغيرها ويطوف بها من كل جانب بادية يسكنها الطوائف من البربر وهي برية بحرية جبلية ووجوه اموالها جمة وهي اول منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان

وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل حين ووقت مالا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة وعبوراً عليها مغربين ومشرقين وذلك انها تنفرد من التجارة التي ليس في كثير من المغرب مثلها والجلود المجلوبة للدباغ والتمور الواصلة اليها من اوجلة ولها اسواق حارة من يبوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب وشرب اهلها من ماء المطر في مداجن تدخر واسعارها في اكثر الاوقات فائضة بالرخص في جميع الاغذية

ويليها اجدابية مدينة عَلَى صحصاح من حجر في مستوى بناؤها من طين وآجر وبعضها بحجارة ويطيف بها من احياء البربر خلق كثير ولها زروع مباخس وليس بها ولا ببرقة ماء جار وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم ووالبها القائم بما عليها من وجوه احوالها وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير خضرهم وبساتينهم هو لاميرها وصاحب صلاتها ولها من وراء ذلك لوازم عَلَى القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان وهي قريبة من البحر ترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة واكثر مايخرج عنها الاكسية المغاربة وشقف الصوف وشرب اهلها من ماء السماء .

واوجلة منها عَلَى ايام بين غربيها وجنوبيها وهي بلد ذات نخيل عظيمة وغلات تحصل

منها لاهلها جسيمة ومنها الى ودّان طريق قصد وودّان هذه ناحية ومدينة في جنوب مدينة سرت وهي جزيرة لا تقصر في رخص التمور وكثرتها وجودتها عن اوجلة. وسرت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين وبها قبائل من البربر ولهم مزارع وهي على البحر ترد عليها المراكب بالمتاع وتصدر به عنها وفيها من جهاز الصوف ما لا يقصر عن اجدابية وبرقة

واما طرابلس فكانت قديماً من عمل افريقية وسمعت من يذكر ان عمل افريقية لما كانت طرابلس مضافة اليها معروف معلوم وذلك انه من صبرة وهي منزل من طرابلس على يوم وهي مدينة من الصخر الابيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة صالحة الاسواق واسعة الكورة كثيرة الضياع والبادية وارتفاعها دون ارتفاع برقة وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجديدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره كالفرسك والكمثرى اللذين لا شبه لها في كثير من المواضع وبها الجهاز الكثير والصوف المرتفع والمليقات الاكسية الفاخرة الزرق النفوسية والسود الرفيعة الثمينة الى مراكب تحط عليها ليلاً ونهاراً وترد بالتجارة على مر الاوقات والساعات صباحاً ومساء من بلد الروم وارض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم واهلها قوم موقرون من بين من جاورهم متميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصورة والقصد في المعاش الى مروات ظاهرة ولهم عشرة حسنة ورحمة مستفيضة ونيات جميلة الى مراء لا يفتر وعقول مستوية وصحة بنية ومعاملة محمودة ومذهب في طاعة السلطان سديد ورباطات كثيرة ومحبة للغريب اثيرة ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيه اهل بلد . واما قابس فانها مدينة ذات مياه جارية واشجار متهدلة وفواكه رخيصة ولها من التمر والزروع والضياع ما ليس لما جاورها من زيتون وزيت وغلات وعليها سور يحيط به خندق ولها اسواق وجهاز كثير ويعمل بها الحرير ويدبغ بها الجلود وينتابها التجار ولها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود بها وسائمة كبيرة اه .

وقال اليعقوبي في كتاب البلدان : وحوالى برقة ارياض لها يسكنها الجند وغير الجند وفي دور المدينة والارباض اخلاط من الناس واكثر من بها جند قدم قد صار لهم الاولاد والاعقاب وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة اميال وعلى ساحل البحر مدينة يقال لها اجية وساحل آخر يقال له طليثة . وبرقة اقاليم كثيرة تسكنها بطون من البربر ولها من المدن برنيق وهي مدينة على ساحل البحر المالح وبها عين عجيب في الارض

والجودة تجوز فيه المراكب واهلها قوم من ابناء الروم القدم الذين كانوا اهلها قديماً وقوم من البربر ومن مدينة اجدابية الى مدينة سرت على ساحل البحر المالح خمس مراحل وآخر حد برقة على مرحلتين من مدينة سرت بموضع يقال له تورغة وخراج برقة قانون قائم كان الرشيد وجه بمولى يقال له بشار فوزع خراج الارض باربعة وعشرين الف دينار على كل ضيعة شيء معلوم سوى الاعشار والصدقات والجوالي ومبلغ الاعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر الف دينار ربما زاد وربما نقص والاعشار للمواضع التي لا زيتون بها ولا شجر ولا قرى مقراة . ولبرقة عمل يقال له اوجلة وهو في مفازة مغرب لمن اراد الخروج اليها ينحرف الى القبلة ثم يصير الى مدينتين يقال لاحداهما جالو وللاخرى ودان وهذه من اعمال برقة المضافة ومن مدينة سرت الى ودان مما يلي القبلة خمس مراحل ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة وسكانها اباضية اي خوارج وفزان جنس يعرف بفزان اخلاط من الناس لهم رئيس يطاع فيهم وبلد واسع ومدينة عظيمة وتسمى برقة انطابلس هذا اسمها القديم

وبعد فهذا من احسن ما وصفت به طرابلس وبرقة ومنه نفهم درجة عمرانهما في القديم اما اليوم فقد قال واصفوها فيهما بانهما مختلفة احوالهما باختلاف كورهما فسواحل الشمال من سرت مقفرة ومن الشرق خضراء نضرة وهي برقة ومن نحو فزان مصخرة . وبلاد طرابلس اشبه بالصحراء وفي الساحل مناجم الكبريت وفي بحيرة فزان الملاحة النطرون وشجر الحلفا بيناء تجار الانكليز خاصة والصناعات محصورة في المدن الكبرى مثل طرابلس وبنغازي واشتهر بالتجارة سكان طرابلس وغدامس وكانت القوافل تسير من طرابلس الى داخلية افريقية تحمل الاقمشة والخرداوات والاسلحة والزجاج والبارود وتعود منها بالعاج والجلد والصمغ والشمع وريش النعام والتبر

وسكان طرابلس مزيج فالبربر ينزلون الجبال والعرب السهول ويكثر فيها الزنوج لان سوق الرقيق قبل ابطاله كانت فيها رائجة وفيها نحو خمسة آلاف مالطي لقرب سواحلها من جزيرة مالطة وهم منتشرون في المدن الساحلية كما ان فيها زهاء الف ايطالي ونحو خمسة آلاف يهودي اكثرهم في السواحل وليس في اهل البلاد من يحيون اصليون

وكانت طرابلس من اهم المدن التجارية ومنها كانت تسير القوافل المهمة الى داخلية افريقية فما برح الفرنسيس منذ استولوا على تونس يحاولون سلبها هذا المركز حتى فقدت مركزها التجاري وتحولت وجهة القوافل الى تونس وخصوصاً بعد ان عمرت انكلترا

اعالي النيل والسودان الشرقي وفتحت الطرق الجديدة الى بحيرة تشادمن النيجر والكونغو فلم تعد برقة مركز الاتصال بين الساحل واواسط افريقية

وكان اليونان في القرن السابع قبل الميلاد انشأوا مدينة برقة متخيرين لها لجودة هوائها وغناها وازهرت عَلَى ايامهم كما ازهرت قرطاجنة واغنى اهل برقة بتجاراتهم الواسعة مع داخلية افريقية الا انهم انصرفوا بعد الى البذخ والرفاهية فاضمحل عمرانهم بعد ان اخرجت برقة مثل ارشيب الفيلسوف وكاليماك وايراتوستين وخلف بنوها من الآثار التاريخية التي تدل عَلَى عظمتها اليوم خرائبها المدهشة

وتاريخ طرابلس الغرب القديم غارق في ظلمات الخفاء لايعرف [1] عنه الا ان البربر بعض سكانها الحاليين كانوا فيها . وقبل المسيح ببضعة قرون كانت انحاء طرابلس بيد الفينيقيين وقسم منها للقرطاجنيين اما جهة برقة فاتخذها اليونان مهجراً كما يهاجرون اليوم الى سواحل مصر وغيرها . وانشئت في جهات طرابلس ثلاثة بلاد (تريوليس) ومنها اشتق اسمها فقال العرب طرابلس وانشأ اليونان في جهة برقة خمس قصبات سموها بنتاپوليس ثم صار حكم طرابلس الى يد حكام البربر في نوميديا بعد سقوط دولة القرطاجنيين واستولى البطالسة المصريون عَلَى برقة ثم استولى الرومان عَلَى كل من اقليمي برقة وطرابلس ووسعوا تخوم حكومتهم الى فزان وغدامس

كانت طرابلس الغرب وجهات الشرق من تونس والجزائر معروفة عند الرومان باسم افريقية وكذلك اطلق العرب عَلَى هذه الاصقاع اسم افريقية . ولما تخلى الرومان عن هذه البلاد استولى عليها الروم البيزنطيون وفتحها عقبة بن رافع في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ثم استولى عليها الامويون وبقيت مدة في يد بني الاغلب عَلَى عهد العباسيين ثم حكمها الفاطميون وكانت معقلاً من معاقل الخوارج ولذلك كانت لهم فيها ايام مشهودة ولم يزل في بعض انحائها بقايا منهم .

ولقد تألفت فيها عدة حكومات صغيرة وبعضها كان مهماً عَلَى عهد الاسلام واكثر ما تكون طرابلس تابعة لتونس في حكومتها وعَلَى عهد السلطان سليمان خان استولى عَلَى طرابلس طغورت باشا مسترداً لها من فرسان مالطة وكانوا استولوا عليها بعد ان سقطت الاندلس في ايدي الاسبان فالحقها هذا القائد بالمملكة العثمانية ودامت تدار شؤونها دهراً على صورة ايالة ثم اقطعت لاسرة قرمانلي فلم يلبث ان استحكم الخلاف بين افرادها

(١) قاموس الاعلام لشمس الدين سامي

فارسلت الدولة سنة ١٢٠٨ اسطولاً ووالياً من لدنها ضبط البلاد

وفي سنة ١٠٩٢ بعثت اسبانيا اسطولاً الى طرابلس فكادت تتغلب عليها لان قلاعها يومئذ لم تكن فيها القوة الكافية فلما رأى الوالي عجزه عن المقاومة اتفق مع الاسطول على دفع غرامة حربية على عهد السلطان احمد الثاني رفض الوالي الصلح الذي ابرمه سلفه مع حكومة اسبانيا فبعثت خمسة عشر مركباً بقصد احتلال طرابلس فاتفق الاهالي مع العساكر وتغلبوا على الاسطول المذكور وفي سنة ١٢١٧ قدمت اساطيل اميركانية لطرابلس لان اسطولها كان يعاكس مراكب اميركا التجارية ويغنم منها كثيراً فطلب فنصلها من يوسف باشا قره مانلي تعيين ضريبة تقدمها حكومة اميركا الى حكومة طرابلس في كل سنة فعين ضريبة عدها القنصل خارجة عن الحد فطلب تخفيضها بواسطة والي الجزائر فرفض يوسف باشا وساطته واصر على طلبه فمكث اسطول اميركا عشرين يوماً يرمي طرابلس بالقنابل وقلاعها ثم رجع بعد ان غنمت حكومة طرابلس جزءاً منه وفي كل هذه المواقع كانت تشترك الاهالي مع العساكر في الدفاع .

ثم انتقض اهلها فاستعاد الامر يوسف باشا وحكم البلاد الى سنة ١٢٤٨ ثم اضطر لاستقالته من حكمها فاصبحت البلاد في حال اضطراب وهاجمها بنو سليمان من القبائل المشهورة مرات ونهبوها ثم عاد الاهلون فطلبوا انقاذهم من شرور الاختلاف فبعثت الحكومة اسطولاً فضبطت القلاع على ايسر سبيل ثم عينت لها والياً . وكانت فزان من القديم تتبع طرابلس وتتبع احياناً حاكم السودان واحياناً شرفاء مراكش وبعد ان ضبط طغورت باشا طرابلس الحق فزان بها

وهذه الولاية الواسعة او المملكة العظيمة ليس فيها شيء من الطرق المعبدة ولا من السكك الحديدية ولا تعرف الخزانات ولا اسباب الري وتكثير الاشجار والنبات وتربية الحيوانات . تحمل بضائعها على الجمال وتقصد قوافلها ولا سيما قبل ان يستأثر الفرنسيس بها لتونس من تمبوكتو في اقاصي بلاد السودان مارة بواحات غات ومرزوق وغدامس اما مواصلاتها البحرية فلا يرمي في موانيها في الولاية غير البواخر الاجنبية ونصفها او اكثر يحمل الاعلام الايطالية ثم يجيء الانكليز والفرنسيس وسائر الدول بكثرة مراكبهم

وتبلغ تجارة طرابلس السنوية زهاء مليون ليرة منها ٥٥٠ الف للواردات و٤٦٠ الف ليرة صادرات منها ٢٣ الف ليرة صادراتها للبلاد العثمانية و٤٢ الف ليرة وارداتها منها

ولانكلترا المقام الاول بين الدول بوارداتها البالغة ١٥٧ الف ليرة وصادراتها التي تبلغ ٨٨ الف ليرة ثم تجيء فرنسا فايطاليا فالولايات المتحدة فالنمسا وقد بلغت مداخيل الحكومة منها سنة ١٣٢٣ ش ١٦٤٦٠٠٤٠٠٠ غرش

السكك الحديد الصينية

تقيم الصين الآن سكة حديدية من عاصمتها بكين الى كالغان مارة ببلاد المغول التي اجتازها التاتار في غاراتهم ولا تزال تجتازها القوافل وسيلتقي هذا الخط بخط ماوراء سيبريا الروسي ويختصر المسافة بين اوربا والشرق الاقصى بضع مئات من الكيلومترات. ومن الغريب انه تم من هذا الخط حتى الآن زهاء مائتي كيلومتر وجميع العاملين فيه صينيون ونفقاته من دخل بعض الخطوط الصينية الاخرى وقد بدأ هذا المشروع يربح ولذا عزمت حكومة بكين ان لا تعهد لاجنبي مهما كان ان يمد لها خطوطاً من هذا النوع وبذلك يقتصد المتعهدون من اجور اليد العاملة اقتصاداً كبيراً لان الصيني يرضى باجرة اقل من اجرة الاوربي والاميركي ويتبارى ابناء البلاد في العمل مدفوعين الى تجويده بعامل الوطنية والصينيون اليوم يستخرجون من ارضهم الفحم الحجري اللازم لخطوطهم وليسوا الآن في حاجة لغير القاطرات يستصنعونها في اميركا ولكن يستغنون عنها عما قريب بما تنتجه لهم مصانعهم فمتى تكون البلاد العثمانية وهي صاحبة الحضارات القديمة والذكاء الخارق كذلك

الهيتيون

قالت المجلة: دخلت دراسة الحضارات القديمة في آسيا الصغرى في دور جديد فقد تألفت جمعية ووضع لها دخل للانفاق عليها من اجل اجراء الحفر في بلاد الهيتيين والبت بتاً علمياً في علاقتهم مع شعوب يونان القديمة وسكان سواحل بحر ايجه (الارخبيل) فان مسألة الهيتيين تهم في الدرجة الاولى علم الآثار واصول الشعوب والاجتماع. وان هذا الشعب البائد كان مدة قرون منتشراً في آسيا الصغرى وسورية كما يستدل من الكتابات ومع هذا لم يعرف الا بما اشارت اليه التوراة من الاشارات. ومنذ ثلاثين سنة ابان بحث علماء المشرقيات بحثاً علمياً امثال الاستاذ سايس والدكتور ويرغت ان شعباً معاصراً للفراعنة كان ينزل حوض قزل ايرمق Halys والفرات استولى عليه الكلدانيون منذ الزمن الاطول فاقتبس منه بعض اوضاعه المدنية التي كانت لها صبغة القطاعية وكان الهيتيون قبل المسيح بعشرين قرناً مختلفين مع بابل ويمدون نحوم

بلادهم الى جنوبي سورية والى تخوم مصر التي نشب بينهم وبينها حرب على عهد رعمسيس الثاني . وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا على جزء عظيم من آسيا الصغرى . وكان الاشوريون يدعونهم خاتيس khatis والعبرانيون ختي ختين Khéti-khétins ودثروا في قرون ولم يبق منهم الا تذكارهم ايام فتح الاسكندرية وامتزجت بقاياهم بالآراميين او لجأوا الى مضايق جبل طوروس . وقد اكتشفت في خرائب مصانعهم القديمة الواح كثيرة من الخزف كانت لهم بمثابة سجلات ولكن معظمها مما يصعب حله وليس للعلماء عنهم من المعلومات الحقيقية الا ما كان من الآثار المكتوبة بالخط الاشوري تثبت عظمتهم اوائل الالف الاولى السابقة لمملكة الرومان وربما كان من الابحاث الحديثة فيهما حل مسألة تشغل العلم كثيراً و يعتبر الهيتيون اعتبارات بانهم اقدم الشعوب المتمدنة

انكلترا والشاي

تكثر انكلترا من تناول الشاي سنة بعد سنة ففي احصاء سنة ١٩٠٩ انه بلغ مشروبها منه ١٤٠ مليون كيلو غرام يصيب الفرد منها ثلاثة كيلو غرامات ومعظم هذا الشاي تجلبه انكلترا من بلاد الهند ببذل ١٦٠ مليون فرنك يلزم لها ثلاثة ملايين ونصف من الفرنكات ثمن ورق ومقوى لوضع الشاي فيه تعدل قيمتها بثمانية ملايين فرنك

فن تكثير السمك

La pisciculture

ان في تنمية الاسماك في المياه الجارية والغدران في البلاد تنمية ثروتها الاقتصادية بيد ان دخول الحضارة في كثير من الممالك زهد في تربية الاسماك وقليل في الاقطار ما عنيت عناية حقيقية بالاسماك واتخاذ الذرائع لتنميتها واهم مصاب الانهار لاستخراج الاسماك في العالم في النيوا احدى ولايات اميركا الشمالية وفيها مصب نهر المسيسيبي العظيم وطوله من ٥٠٠ الى ٦٠٠ كيلو متر ووضعه الجغرافي واسبابه الطبيعية تجعله صالحاً لتكثير الاسماك وتغذى جميع تلك الولاية من اسماكه ووزن ما يستخرج منه كل سنة عشرة ملايين كيلو تقدر قيمتها بنحو اربعة ملايين فرنك ويستخدم ١٧٦٧ رجلاً في صيدها